

للشيخ: أبي محمد الحسن الكتاني

بقلم: أبي الأشبال المغربي

وقفات يسيرة

مع رسالة: تقويم المسيرة

للشيخ أبي محمد الحسن الكتاني

بقلم: أبي الأشبال المغربي

بسم الله الرّحمن الرّحيم، ربِّ يسِّر وأعِن..

الحمد لله القائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة/54]، والصلاة والسلام على القائل: «**لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على الحقّ، لا يضرّهم من خالفهم، حتّى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك**» [مسلم]، والقائل لمن قال له: أذال النّاس الخيل ووضعوا السّلاح وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها: «**كذبوا، الآن جاء دور القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة، وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين بالشام**» [صحيح رواه الإمام أحمد والنسائي وحسنه الألباني في الصحيحة]، أما بعد:

مقدِّمة:

قرأت مقالا للشيخ أبي محمد بن حسن الكتاني ـ وفّقنا الله وإياه لسلوك سبل الهداية والرشاد، وأخذ بأيدينا جميعا إلى الخير ـ وهو عبارة عن (تغريدات) تتحدث عن: (عدم مشروعية العمل الجهادي في بلاد المسلمين اليوم)، وأظنها خلاصة بحث مطوّل له كتبه تحت عنوان: (تقويم المسيرة)، وقد قرأته بفضل الله قبل تحرير هذا الرد، حتى أكون على إحاطة بما كتبه حول الموضوع.

وكنت قد كتبت عليه من قبل تعليقا يسيرا في بعض (المجموعات على التلغرام)، وماذا عساه يشرح ويفصّل المرتجل ومن يكتب على عجل، حيث لم تُتَح لي الظروف يومها لكتابة ردّ كما ينبغي، كما أنني لم أكن راغبا في نشر ذلك التعقيب لولا طلب ورغبة بعض الأحباب وأحد الشيوخ الأفاضل، فنزلت عند رغبتهم ونشرته، ولا أكون كاذبا لو قلت لست راضيا عنه، فهي كما تقدّم مداخلة سريعة خلال بعض النقاشات، كُتبت في حالة عدم استقرار ومطاردات ومحن ومصائب لا داعي لذكرها، وقد ذكر تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ في معرض حديثه عما يجب توفره لمن يريد الكتابة والتأليف أنه يحتاج إلى ثلاثة أشياء: ((أحدها) **فراغ البال واتساع الزمان**) [المجموع شرح المهذب: 10 /3 ـ المكتبة الشاملة]، وشيء من ذلك لم يكن!.

هذا؛ وكنت قد وعدت في ثنايا ذلك التعقيب بكتابة ردّ على المقال، إن أمكنتنا القدرة وأسعفنا الوقت، فمما دفعني للرد ذلك، ثم رسالته «تقويم المسيرة» و«تغريداته» لا تزال منشورة مثبتة إلى اليوم، فلأجل ما تقدم بيانه جاءت هذه الرسالة..

ž وتحتوي ـ بعد تلك المقدِّمة ـ على ما يلي:

ـ شكر وعرفان.

ـ بيان وجوب الرد إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف.

ـ تعجّب واستغراب.

ـ مصارحة ومكاشفة.

ـ ماذا نصنع إذا طرأ الكفر البواح على الحاكم؛ وأن الإسلام شرط في الولاية لا بد من ثبوته على الدوام (في الابتداء والأثناء).

ـ هل مفسدة الخروج على الحكام تربو على مفسدة البقاء تحت حكمهم، ومن يقدِّر المصالح والمفاسد في مثل هذه القضايا؟.

ـ لفت النظر إلى حصول الابتلاء لسالكي طريق الحق وأنه لا مناص منه.

ـ الرد على الداعين إلى ممارسة الدعوة دون جهاد، وبيان وجوب الإعداد حين حصول العجز.

ـ أسباب الانتكاسات وتراجع بعض الجماعات الجهادية.

ـ الحصاد الإيجابي وإنجازات التيار الجهادي في أربعين عاما مضت.

ـ أدلة العقل والمنطق أن الجهاد هو الحل.

ـ ملخص لما في الرسالة.

ـ الخاتمة، وفيها:

وقفة مع حديث (الآن جاء دور القتال).

كلمة حول أهمية الجهاد في سبيل الله تعالى.

والآن هذا أوان الشروع في المقصود، فأقول وعلى الله قصد السبيل:

1/ شكر وعرفان.

قال ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» [أخرجه أحمد في المسند، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، و السلسلة الصحيحة]، فبداية أشكر الشيخ الكتاني ـ ختم الله لنا وله بالحسنى ـ على سعيه في سبيل تقويم المسيرة الدعوية الإسلامية، فلا شك أنه رام نفعا من وراء ذلك، وهذا من واجب حسن الظن بالمسلمين، إذ الأصل في المسلم الستر والصيانة حتى تظهر منه الخيانة، ويتأكد ذلك في أهل العلم وطلبته ممن عُرِف عنهم الصدق والبلاء الحسن في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، زيادة على ذلك فإن الشيخ الكتاني ـ وفقه الله تعالى ـ طلب إحسان الظن به كما في قوله: (وجزى الله من نظر في كلامي، فحمله على أحسن المحامل، وناقشني مناقشة الأخ لأخيه المحب، فمقصودي تقويم المسيرة الإسلامية و النصح لإخواني المسلمين في كل مكان) اهـ، وقد فعلنا ذلك ولله الحمد؛ فاللهم اجزه عن ذلك خيرا، وانفع بما ذكره وأرشد إليه من الخير، ولكن هذا القصد الحسن، ووجود شيء من الحق فيما كتبه؛ لا يمنع من وجود الزلل والخلل أيضا، وبالتالي لا يمنع من الرد عليه وإنكار ما يجب أن يُنكَر، وتصحيح ما ينبغي أن يُصحَّح، والتعقيب على ما يلزم التعقيب عليه، والرد على المخالف ومشروعيته، شعار من شعائر علماء الأمة الإسلامية، ووظيفة من وظائفهم المِلِّية، وأصل من أصولها التعبّدية (انظر مقدمة كتاب: [الرد على المخالف من أصول الإسلام/ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ـ رحمه الله تعالى ـ])، يقول ـ رحمه الله تعالى ـ فيه: (ورد الباطل واجب مهما كانت رتبته، وكل مسلم على ثغر من ثغور ملته) اهـ وبالله تعالى التوفيق..

2/ بيان وجوب الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع والاختلاف:

قال الشيخ الكتاني ـ ختم الله لنا وله بالحسنى ـ في مقدِّمة بحثه: (واعلم أخي بارك الله فيك، أن أئمتنا كانوا قوّامين بالحق شهداء بالقسط، يقوِّمون الأخطاء و ينبهون على الهفوات، ويردّون البدع عند بداياتها، ولا يجاملون في دين الله كبيرا ولا قريبا، فنفع الله بهم نفعا عظيما، و صنفوا المصنفات الجليلة في توضيح المنهج وتمهيد السبل) اهـ، وهي حقيقة ناصعة، وجزى الله أئمة الدين عن الإسلام وأهله خير الجزاء، ولتلك الكلمات التي قدم بها الشيخ الكتاني أهداف ولها ما وراءها وهو حق وأقول به.. **وعليه:**

فليسمع منا الشيخ الكتاني هو الآخر، فمن حقِّه علينا أن ننصحه ونرد عليه، ومن حقنا عليه أن يسمع ويتأمل فيما نرد به عليه، والحجة في ما يأمر به الشرع ويحث عليه، وفي بيان وجوب الرد إلى الكتاب والسنة

عند التنازع والاختلاف أسوق ما يلي:

مما هو معلوم أن النصوص الشرعية دلّت على وجوب ردّ التنازع إلى الكتاب والسنة فما وافقهما قبلناه، وما عارضهما رددناه، قال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء/59]..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فأمر الله تعالى المؤمنين عندا لتنازع بالرد إلى الله والرسول، وهذا يوجب تقديم السمع وهذا هو الواجب، إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافا واضطرابا وشكّا وارتيابا) [درء تعارض العقل والنقل: 1/83].

فأقوال العلماء يستعان ويستضاء بها في فهم الكتاب والسنة، ويستعان بها في فهم نصوصهما وتصوير المسائل ونحو ذلك، ويحتج لها بالأدلة الشرعية، ولا يحتج بها عليها كما نص غير واحد من أئمة العلم والدِّين، ومتى ما خالفت شيئا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ رُدّت على قائلها مهما علا كعبه وعَلَت رتبته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع، وإنما الحجة النص والإجماع، ودليل مستنبط من ذلك تقرّر مقدماته بالأدلة الشرعية لا بأقوال بعض العلماء؛ فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية، لا يحتج بها على الأدلة الشرعية) [مجموع الفتاوى: 26/ 202ـ الشاملة].

وقد أوصى الأئمة ـ رحمهم الله تعالى ـ بعدم التقليد، وأوجبوا الأخذ بالدليل وطَرْح ما عداه من الأقوال التي تخالفه، ومَن ترك الدليل الشرعي لقول أحد من العلماء، فقد خالف الأصل الذي أجمع عليه المسلمون: (**<u>لزوم ووجوب الأخذ بالدليل</u>**).

يقول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: (كُلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر) وأشار إلى قبر النبي ﷺ ، ووردت عنه أيضا: (ما منا إلا رادٌّ ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر) يعني النبي ﷺ ، ويقول أيضا: (أَوَ كلَّما جاءنا رجل أَجْدَل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لِجَدَل هؤلاء؟)..

ويقول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحّته يذهبون إلى رأي سفيان)، ويقول أيضا: لا تقلّدني ولا تقلّدنّ أبا حنيفة ولا مالكًا ولا الشافعي وخُذ من حيث أخذوا)..

ويقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: (أجمع المسلمون على أن من استبانت له سُنّة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد)، ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ

فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، ودعوا ما قلت)، ويقول: (إذا خالف قولي قولَ رسول الله ﷺ، فخذوا بقول رسول الله واضربوا بقولي عرض الحائط)..

ويقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (إذا خالف الحديث قولي فاضرب بقولي عرض الحائط)، وأقوالهم حول هذا كثيرة مشتهرة ـ ولله الحمد ـ انظر [القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد/الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى].

فالعصمة إذاً ليست لأحد من البشر إلا أنبياء الله ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وشأن المسلم أن يتحرّى وجه الصواب في كل مسألة تُعرض عليه، وأن يدور مع الحق حيث دار، فالحق أحق أن يتبع؛ (ولولا أن حق الحق أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع) كما يقول العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى [مدارج السالكين: 2/44 ـ المكتبة الشاملة].

ويقول الشيخ الجليل ناصر بن حمد الفهد ـ فك الله أسره ـ: (فقد أتت النصوص الشرعية بوجوب عرض كلام العلماء على الكتاب والسنة، فما وافقهما قبلناه، وما عارضهما رددناه، فإن أقوال الرجال يُحتجّ لها ولا يحتج بها، وقد ضُمِنت لنا العصمة في الكتاب والسنة ولم تُضمن لنا في أقوال العلماء، **فيُرد ما لم يضمن إلى المضمون الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)** اهـ من مقدِّمة كتاب [الإعلام بمخالفات الموافقات والاعتصام: 1/5 ـ المكتبة الشاملة]..

هذا؛ وإن السكوت على المخالف ومخالفته، يُعدّ من مواطن الإثم التي ينبغي أن يجتنبها من يخاف الله ويرجو اليوم الآخر، ويغار على دين الله وشرعه، انظر (المبحث الخامس ـ مضار السكوت على المخالف) من كتاب: [الرد على المخالف/العلاّمة بكر أبو زيد رحمه الله تعالى].

3/ ـ تعجب واستغراب:

من حقّنا ـ وليسمح لنا الشيخ الكتاني ـ عفا الله عنا وعنه ـ أن نتعجّب وليتّسع صدره لذلك؛ فإنه ـ والله ـ لمن أعْجَبِ العَجَب أن يُطرح مثل هذا الموضوع ـ فشل الحركات الجهادية في قتال الأنظمة المرتدة ـ في مثل هذا الظرف الحرج الحساس الذي يستدعي منا جميعا المزيد من البذل والتضحية في قتال أعداء الملة والدِّين؛ في وقت تكالبت فيه علينا الأمم الكافرة، وأعلنوها حربا شعواء ظالمة فاجرة، علينا وعلى ديننا وقيمنا وثوابتنا الإسلامية، في مَكْر عجيب مريع، وتحالف لا يخفى على بشر بين اليهود والروافض وأمم الصليب

من جهة، وحكامنا المرتدين ـ الذين نُطَالَب بالكفِّ عن قتالهم ـ من جهة أخرى (وهم وجهان لعملة واحدة!)، وفي سدِّ هذه العلّة، وردّ تلك الخَلّة؛ أتطرّق إلى ما يلي، وبالله تعالى التوفيق، فإلى:

4/ مصارحة ومكاشفة:

أقول (اللهم لا شماتة)، ليعلم الشيخ الكتاني وكل داعية وطالب علم ـ وفقهم الله جميعا للخير وما فيه صلاح دينهم ودنياهم ـ أن أولى الناس بالجهاد في سبيل الله تعالى والدفاع عن هذه الأمّة المكلومة المطعونة وحرماتها المنتهكة هم حملة العلم وأهله؛ لأجل أن العلم يقتضي العمل **(أولا)** خاصة وأن الجهاد اليوم جهاد دفع **فهو فرض عين علينا وعليهم**؛ ثم (ثانيا): **لعِظَم الحاجة إليهم** كما لا يخفى على أدنى طالب علم وعلى أي مجاهد يعيش في ساحات الجهاد، فهو إذاً **في حقهم آكد**؛ أم أن الجهاد ليس واجبا عليهم؟! خاصة وهو اليوم جهاد دفع صائل كما سبقت الإشارة لذلك، والذي لا يشترط له شرط كما قرر هذا وبيَّنه العلماء، ونقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وإليكم مزيد تصريح وتوضيح (وليسمح لنا الجميع بارك الله فيهم على المصارحة):

إن تخلُّف الدعاة وطلبة العلم عن ساحات الجهاد ـ **وهو اليوم جهاد دفع وفرض عين** ـ يُعدّ من أغرب الغرائب التي نراها ونسمعها ونعيشها اليوم، وهي شنيعة في حقهم كان من الواجب عليهم أن يجتنبوها؛ وأقول هنا قولا لست فيه متأثِّما، ولا منه متلثِّما، وها أنا ذا أكتبه بالخط وأقيِّده باللفظ، حتى تكون شهادتي على هذه القضية أقوى وأوكد، ونكولي عنها أبعد وأصعب، وحكم من ينتقدني بها لي أو عليّ أمضى وأَنْفَذ: إن على هؤلاء جميعا ـ ممن تخلفوا عن فريضة الجهاد المتعيِّنة اليوم دون عذر شرعي يشفع ـ كِفْل من الآثام لأجل ما حصل ويحصل من إخفاقات وأخطاء في الساحة الجهادية، وبرهان ذلك كما يلي، فتجرَّد أيها القارئ المنصف من حظوظ النفس والهوى ـ عصمك الله ـ **وتتبع هذا الفصل المهم**:

إن من المعلوم أن الجهاد لا بد له مِن أن يسير على علم وبصيرة، قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [النساء/94]، مع ما تقتضيه ساحات الجهاد ونوازلها الكثيرة من ضرورة وجود أهل الفقه والبصيرة والنظر والاستنباط الذين يقولون للمجاهدين هذا حلال وهذا حرام، وأنى لجاهل أن يقود الجهاد بجهله، وهذه مسلَّمة لا يختلف فيها مسلمان عاقلان..

فلا نرى ساحة تكثر فيها النوازل التي تحتاج لأهل العلم وطلبته (أهل الاختصاص) مثل ساحات الجهاد، وحسبك أن الكثير من الأحكام الشرعية كانت وقُرِّرت على عهد النبي ﷺ أثناء الجهاد كما هو مُبيَّن في موطنه، والحمد لله أَنْ خفّ علينا العبء في بيان هذه الحقيقة، فهي من المسلَّمات لدينا جميعا، فلا داعي إذن إلى الإطناب والإسهاب..

والسؤال الذي أطرحه هنا هو:

من يفتي المجاهدين في مثل تلك النوازل التي أشرنا إليها إذا خَلَت ساحات الجهاد من أهل العلم وطلبته؟!، لا تكلِّف نفسك عناء الرد فأعطيك الجواب، فخُذه:

1/ قد يتقدم ويفتي في ذلك رؤوس جهال لخلوِّ الساحة الجهادية من أهل العلم (هكذا بكل بساطة)!.

2/ أو يفتي فيها من ليس بأهل (لم يبلغ درجة الإفتاء) ويقتحم ذلك المنصب الخطير ـ التوقيع عن رب العالمين ـ من باب الضرورة الشرعية ويتقي الله ما استطاع، وفي كلتا الحالتين، المُلام هم:

أهل العلم الذين تخلفوا عن ساحات الجهاد، وتركوا هذا الواجب المتعيّن عليهم، ووا أسفاه وإنا لله وإنا إليه راجعون على ما آل إليه حال المجاهدين اليوم من جراء خلوّ ساحات الجهاد من أهل العلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» [البخاري ومسلم].

فلا تَسَل إذاً عن الفساد الذي سيحصل إذا تقدم للفتيا من ليس لها بأهل، ولا شك أن العقلاء ومن يدركون حجم هذا الخطر الداهم أنهم سيردِّدون مع أبي عبد الرحمن ربيعة الرأي (شيخ مالك رحمهما الله تعالى): (حَدَث في الإسلام أمر عظيم)!!؛ نعم هو كذلك، وللأسف لا يوجد من يسجنهم مثلما يُسجن السُّرّاق؛ وبذلك أفتى ربيعة!.

فَإِنَّ بِفَقْدِ العِلْـمِ شَرًّا وَفِتْنَةً	وَتَضْيِيعَ دِينٍ أَمْرُهُ وَاجِبٌ حَتْـمُ
وَمَا سَائِرُ الأَعْمَالِ إِلا ضَلالَةٌ	إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْعَامِلِينَ بِهَا عِلْـمُ
وَمَا النَّاسُ دُونَ الْعِلْمِ إِلا بِظُلْمَةٍ	مِنَ الْجَهْلِ لا مِصْبَاحَ فِيهَا وَلا نَجْمُ
فَهَـلْ يُهْتَـدَى إِلا بِنَجْـمِ سَمَائِهِ	إِذَا مَا بَدَا مِنْ أُفْقِهِ ذَلِكَ النَّجْـمُ

وللشيخ الكتاني وغيره من العلماء والدعاة وطلبة العلم ـ وفقهم الله ـ نقول:

بالله عليكم من يتحمل مسؤولية هذا الذي سبق ذكره؟!

والجواب في اعتقادنا ـ بلا مجاملة ـ: أنتم من يتحمل ذلك، والله ـ يمينا بارة ـ أنتم! وإن شئتم زدتكم من الأيمان (ولو بين الركن والمقام!).

تركتم الساحة فتقدم غيركم.. وهي نتيجة حتمية لا مناص منها..

وقد كتبت ـ بفضل الله تعالى ـ من قبل رسالة بعنوان:

[حاجة الساحة الجهادية إلى العلماء والدعاة وطلبة العلم]، وهي موجودة على "النت".

وانظر [فصل الوصايا/الوصية الأولى: **هؤلاء الربيون.. فأين ورثة النبيين؟** ـ في كتاب: **عاهدوا وما بدّلوا**/أبو عبد الله محمد المنصور ـ حفظه الله تعالى ـ]، وفيه نقد وكلام نفيس ومهم جدا..

® وهنا حقيقة نذكِّر بها كل من يتحدث عن أخطاء المجاهدين (والشيء بالشيء يُذْكَر):

اعلم ـ يا عبد الله ـ أن المجاهدين بشر ـ كسائر البشر ـ يصيبون ويخطئون، ويحسنون ويقصِّرون، وبعض الأخطاء يلامون عليها ولا يُعذرون! (لأن بعضها ناجم عن جهل يستطيع المرء دفعه)، ولكن اعلم أيضا أنك عندما تنبري للخطابة أو الكتابة عن أخطائهم ـ وربما تبالغ في ذلك ـ أن المعني بالدرجة الأولى أنت، إِذْ لك كِفْل من ذلك كما تقدم؛ فواصل في انتقاد نفسك مشكورا!.

وأجبني ـ رحمك الله ـ هل ترى في مثل هذا الكلام مغمزا، أو تجد فيه معرّة؟!

بيني وبينك النقاش، برفق واتساع صدر وأخوة.. إلخ ما ينبغي أن يكون بين المسلمين من الخلال الكريمة (وأخوة الإسلام جامعة لنا بفضل الله تعالى).

* * *

وإلى النقطة التالية؛ وهي المعتمد والعمود:

5/ماذا نصنع إذا طرأ الكفر البواح على الحاكم وأن الإسلام شرط في الولاية مطلقا لا بد من ثبوته على الدوام:

ـ تنبيه لا بد منه:

لقد تصدّى علماء المجاهدين ودعاتهم وطلبة العلم فيهم إلى بيان هذه المسألة وأشبعوها بحثا، وتناولوها بالأدلة الظاهرة الباهرة ولله الحمد، وهي منشورة مبثوثة في مواقعهم الرسمية، وقد سارت مسير الشمس

في الأقطار، وقد تبيَّن لكلّ منصف متانة ورصانة تأصيلاتهم وردودهم الشرعية، بل وصل الحد ببعضهم إلى طلب المباهلة على ما ذهب إليه من تأصيلات واختيارات وفتاوى شرعية، ومنهم من طلب المناظرة حتى من (هيئة كبار العلماء) التي يجلد ويقاتل الكثير بسيفها، ولم نر من تعرّض لتلك التأصيلات ـ التي يلوح عليها نور الكتاب والسنة ـ بالنقد والتفنيد، والنزاع غالبا يدور حول قضية تقدير المصالح والمفاسد المترتِّبة على الخروج على الحاكم، والتي سنتطرق إليها بعد حين إن شاء الله..

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: (وقد أوعبت الأمة في كل فنٍّ من فنون العلم إيعابا، فمن نوّر الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا) [مجموع الفتاوى: 10/665 ـ المكتبة الشاملة].

فهؤلاء الحكام كفرة مرتدون، لحُكْمهم بغير ما أنزل الله، وتشريعهم للناس ما يشاءون من أحكام، فقد نَصَبُوا أنفسهم أربابا وآلهة للناس من دون الله، وتسلّطوا عليهم بقوة الحديد والنار، وحكموا فيهم القوانين الوضعية الوضيعة، الظالمة الكافرة الجائرة الفاجرة، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ ﴿**الظَّالِمُونَ**﴾، ﴿**الْفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة/44 ـ 45 ـ 47]، وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام/1] ، إلى غير ذلك من النواقض التي لم يبخلوا علينا بإظهارها، وقد تجلّت خلال الأزمنة المتأخرة في أشنع صورها ـ مثل مناصرتهم لليهود والنصارى في حرب المسلمين ـ ومنهم المجاهدين ـ وهذا من بركات الجهاد حيث عرّاهم خلال وقوفهم ومظاهرتهم للكافرين ضد ما يسمّونهم بالإرهابيين!؛ ومع ادعائهم الإسلام فقد صاروا بالكفر في حُكْم المرتدِّين تسري عليهم أحكام أهل الرِّدة، والواقع خير شاهد ومفصح عن حالهم، يقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ واصفا حال بلاد المسلمين وحال حكامهم وما طال شريعة الإسلام بسبب حربهم وإقصائهم لها من الحكم: (هذا وإن أمر غياب الشريعة الإسلامية، وتولي شرذمة من الناس كِبر إقصائها ومحاربة الداعين إليها **وفرض قوانين الكفر على المسلمين صار سمة عامةً في بلدانهم**، ولم تزل الأمة على هذه الحال عقوداً من الزمان، حتى نشأت بسبب ذلك أجيال لا تعرف من الإسلام إلا الأسماء، ولا تدرك من أحكام الشريعة إلا العناوين، وطال عليهم أمد غيابها فألِفوا ما هم فيه واعتادوه، فلم يَعُد يشعر بِعِظَم الفادحة التي هم فيها إلا القليل، وهكذا الإلف يورّث التبلّد ويبعث على موت القلب، ولو علموا قُبح الواقع الذي هم فيه وأدركوا شناعة الداهية

الصماء التي يعيشون وسطها لبذلوا للتخلص منها وتخليص العباد من شرها كل غال ونفيس، ولاسترخصوا في سبيل دفعها أموالهم وأنفسهم، ولعلموا أن كل مصيبة تهون بجانب مصيبة تغييب الشرع وإحياء أنظمة الطاغوت والله المستعان) اهـ من رسالة: [حد السّنان لقتال حكومة وجيش باكستان].

والحاكم المسلم ـ كما هو مبسوط في كتب أهل العلم ـ إذا وقع في الكفر البواح ولم تكن له شوكة ومنعة، وجب خلعه والتخلص منه على الفور، ويُعرَض على القاضي فإن تاب وإلا قُتل، لقول النبي ﷺ : «**من بدّل دينه فاقتلوه**» [البخاري]، كما أنه لو تاب لم يرجع إلى ولايته.

أما إذا كان الحاكم الذي يصدر منه الكفر البواح ممتنعا بطائفة يحتمي بها وتقاتل من دونه، فيجب حينئذ الخروج عليه ومنابذته بالسيف، وقتال كلّ مَن قاتل دونه لأنه في حُكْمه: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة/51]، ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾ [القصص/8]..إلى غير ذلك من الأدلة؛ وهذه المسألة أيضا ـ حكم أنصار الطواغيت ـ من المسائل التي بحثها علماء ودعاة الجهاد فلينظرها من أراد الفائدة والاستزادة..

يقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (لا خلاف بين العلماء أن الولاية لا تنعقد لكافر ابتداء، وأنه لو طرأ عليه الكفر فيها لوجب خلعه، فالإسلام شرطٌ في الولاية مطلقاً لا بد من ثبوته في الابتداء والأثناء، كما جاء في الموسوعة الفقهية: (لا ولاية لكافر على مسلم، لا ولاية عامة ولا خاصة، فلا يكون الكافر إماماً على المسلمين، ولا قاضيا عليهم، ولا شاهداً، ولا ولاية له في زواج مسلمة، ولا حضانة له لمسلم، ولا يكون وليا عليه ولا وصيا.. والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدا) اهـ، وقال الإمام ابن المنذر ـ رحمه الله ـ: (أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر لا ولاية له على مسلم بحال) [أحكام أهل الذمة: 2/414]، **وذلك لأن الولاية منصب شرف وموطن ديانة، ومهامها من أعظم المهام**، فالإمامة كما قال عنها إمام الحرمين الجويني ـ رحمه الله ـ: (رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدِّين والدنيا، متضمَّنُها حفظُ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكفّ الجنف والحيف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين، وإيفاؤها على المستحقين) [غياث الأمم: 15]، **فهل يُنتظر أن يقوم بهذه المهام العظام، ويتولى أمر إقامة الدين وصيانة الدنيا أعداؤه الكفرة ونابذوه الفجرة؟!**

والكافر ـ أصلياً كان أم مرتداً ـ هو محل الإذلال والامتهان، والضّعة والصّغار، وأعماله كسراب بقيعة أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، **فكيف يتبوأ هذا المنصب الشريف، ويرتقي هذا المرتقى المنيف، وتصبح له اليد في الأمر والنهي، والإعطاء والمنع، والرفع والوضع، والوصل والقطع، والمكافأة والمعاقبة، والتولية والعزل، والتقديم والتأخير**، وقد بين الله لنا حال الكفرة وما هم فيه من الخسة والدناءة، والسفالة والرداءة، فَنَعَتهم سبحانه بأرذل النعوت فقال عز وجل: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِّ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [الأنفال/22]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنفال/55]، وقال عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف/179]، وقال سبحانه: (**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [الفرقان/44]، وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾ [التوبة/28]، **فكيف يكون مَن هو شر الدواب، وأضل من الأنعام، النجس النحس والياً على المسلمين وحاكماً لهم؟!**، ولهذا قال الله تعالى في كتابه: ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُّ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾ [النساء/141]، وهذه الآية وإن كان ظاهرها الخبر، إلا أن كثيراً من العلماء قد استنبطوا منها أحكاماً تكليفية تتعلق بمنع ولاية الكافر على المسلم في صغير الأمور وكبيرها، قال الإمام ابن كثير في هذه الآية : (وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية الكريمة على أصح قولي العلماء، وهو المنع من بيع العبد المسلم من الكافر لما في صحة ابتياعه من التسليط له عليه والإذلال، ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال) [تفسير ابن كثير: 2/437].

وقال العلامة أبو بكر الجصاص الحنفي ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: (ويحتج بظاهره في وقوع الفرقة بين الزوجين بردة الزوج، لأن عقد النكاح يثبت عليها للزوج سبيلاً في إمساكها في بيته، وتأديبها، ومنعها من الخروج، وعليها طاعته فيما يقتضيه عقد النكاح، كما قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ [النساء/34] فاقتضى قوله تعالى: ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُّ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾ [النساء/141] وقوع الفرقة بردة الزوج وزوال سبيله عليها، لأنه ما دام النكاح باقيا فحقوقه ثابتة وسبيله باق عليها) [أحكام القرآن: 3/279]، وإذا كانت الولاية في مثل هذه الأمور الجزئية المحدودة لا تنعقد لكافر، **فكيف بالإمامة العامة ومحلها من الدِّين ما عُلم**، ولهذا قال النبي ﷺ : (**الإسلام يعلو ولا يعلى**) رواه الدارقطني، والبيهقي،

والضياء المقدسي، والروياني عن عمرو بن عائذ، وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل**) [رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والبخاري في الأدب المفرد وغيرهم]، فإذا كان النبي ﷺ قد أخبرنا أن مجرد مناداة المنافق بالسيد يسخط الله عز وجل ـ مع أن المنافق ظاهره الإسلام ـ **فكيف بتولية أشرف المناصب وأعظمها خطراً في الدين للكفرة الفجرة الذين يحادون الله ورسوله**، وكيف إذا أضيف لذلك تعظيمهم وتفخيمهم وتصديرهم وتوقيرهم ومخاطبتهم بعبارات التبجيل والتقدير والاحترام والإعظام، **فيكف إذا أضيف إلى ذلك إسلام أمور الإسلام إليهم**، وجَعْلهم قادةً يأمرون وينهون، ويُكرِمون ويهينون، ويقرِّبون ويبعدون، **ألا يكون ذلك أدعى لغضب الله وسخطه ومقته** ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ لا سيما وهم يجاهرون بالمشاقة لسبيل المؤمنين، ويتفاخرون بسلوك سبيل المجرمين.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي ـ رحمه الله ـ في الحديث السابق: (فتأملنا ما في هذا الحديث، فوجدنا السّيّد المستحق للسّؤدد هو الذي معه الأسباب العالية التي يستحق بها ذلك، ويبين بها عمن سواه ممن ساده.. فكان من يستحق هذا الاسم والكون بهذا المكان مَن هذه صفته، وكان المنافق بضد ذلك، ولما كان كذلك لم يستحق به أن يكون سيدا، وكان من سماه بذلك واضعاً له بخلاف المكان الذي وضعه الله بذلك، وكان بذلك مسخطاً لربِّه) [مشكل الآثار: 13/201].

وقد كان السلف رضي الله عنهم أشد الناس حذراً واحتراساً من تسلّل الكفرة شيئاً فشيئاً لاعتلاء أدنى المناصب التي قد يتخذونها مدخلاً لإفساد المسلمين وإطلاق أيديهم للعبث بدينهم، آخذين بحزم وجدٍ قول الله تعالى لعباده المؤمنين محذراً إياهم من عاقبة تهاونهم في هذا الأمر وركونهم إلى ما قد يتظاهر به الكفرة من الرغبة في النصح والحرص على الإصلاح: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران/118]) اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان] وفي ذلك مقنع وكفاية..

وتأمل أكثر مع فِقهه واستنباطه ـ رحمه الله ـ حيث يقول: (وليس بين العلماء اختلاف البتة في أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وأنه لو طرأ على الإمام كفرٌ وجب خلعه وتنصيب إمامٍ مسلم يحكم بشرع الله تعالى، **وهذا هو مقتضى مساق الشرع الذي يدعو إلى التضييق على الكفرة حتى في الطرقات**، فأمر باضطرارهم إلى أضيقها

كما قال النبي ﷺ: «**لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**» [رواه أحمد، ومسلم ـ واللفظ له ـ، وأبو داود، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه])اهـ.

ــو(أما دليل وجوب الخروج على الحاكم إذا كَفَر، فهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا وعُسْرِنا ويُسْرِنا وأَثَرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، **قال: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**» [متفق عليه واللفظ لمسلم] قال النووي: (قال القاضي عياض **أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل** ـ إلى قوله ـ فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه) [صحيح مسلم بشرح النووي: 12/229].

وهذا الإجماع الذي ذكره القاضي عياض نقله ابن حجر عن ابن بطال، وعن ابن التين عن الداودي، وعن ابن التين، وقرره ابن حجر نفسه) انظر [فتح الباري: 13/7 ـ 8 ـ 116ـ 123]) اهـ ما بين قوسين من كتاب: (العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله تعالى/الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره وهداه).

ويقول الشيخ عبد الله بن ناصر الرشيد ـ رحمه الله تعالى ـ: (**واتفقت الأمة على وجوب قتال الحاكم الكافر**، وشرط النبي ﷺ لقتاله كما في الحديث: «**أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**» وهذا الشرط يتضمَّن جزأين: أن يكون الكفر بواحًا، وأن يكون عندنا من الله فيه برهان، والشرط الأول في فاعل المكفِّر، والثاني في دليل كون الفعل كفرًا.

والحكَّام المرتدّون الحاكمون لبلاد المسلمين اليوم مشروعٌ قتالهم لمناطاتٍ عدةٍ مجتمعةٍ فيهم كلٌّ منها كافٍ في وجوب القتال..) اهـ [مجلة صوت الجهاد/العدد الحادي عشر].

ويقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (وأما أقوال الأئمة في وجوب خلع الحاكم الكافر **فكثيرة** ـ ثم قال بعد أن ساق بعضها ـ:

وكلام هؤلاء الأئمة يتضمن أمرين؛ **الأول**: أن انعزال الحاكم عن ولايته يحصل بمجرد طرؤ الكفر عليه،

بمعنى أن صفة الولاية الشرعية تنتزع منه مباشرة عند اتصافه به وتلبسه بالكفر البواح الصراح، فلا يبقى في أعناق الناس شيءٌ من حقوق الولاة عليهم، فلا بيعة، ولا سمع ولا طاعة، ولا يمضي له عقد، ولا يُلزم الناسَ بعهد، فوجود الشوكة والقوة والتمكين وتسيير الأمور وإدارة البلاد من قِبل الحاكم الكافر لا يجعله بذلك والياً شرعياً، **لأن ثوب الولاية المعتبرة قد نُزع منه بوقوعه في الكفر البيِّن**، وهذا ما يدل عليه تعبير الأئمة السابق بقولهم **(انعزل)** وبقولهم **(خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته)**، فالإمامة الشرعية والكفر لا يجتمعان في شخص، وكما قال إمام الحرمين - رحمه الله ـ: (الإسلام هو الأصل والعصام فلو فرض انسلال الإمام عن الدين لم يخفَ انخلاعه وارتفاع منصبه وانقطاعه) [غياث الأمم: 1/75]..

..ففرقٌ بين العزل والانعزال، **فالأول** يقتضي تكلفاً وعملاً واجتهاداً من قِبل المسلمين لإزاحة الحاكم الكافر من منصبه وإقصائه عن ولايته فلا تبقى له يدٌ في إدارتها وتسييرها، وأما الانعزال فَمِن معانيه عدم بقاء الصفة الشرعية للولاية في حق الكافر المتغلب، بمعنى أنه لم يعد والياً ـ ولو مع وجوده وقوته وتمكنه ـ يستحق شيئاً من حقوق الولاية، لأن المعدوم شرعاً كالمعدوم حساً.

الثاني: وهو ما يترتب على هذا (الانعدام الشرعي) أو الانعزال الذي حصل للمتولي الكافر، وذلك **وجوب القيام عليه وخلعه** وتنصيب إمامٍ للمسلمين يقوم مقامه، وهو ما عبّر عنه الأئمة بقولهم فيما نقلناه آنفاً: **(وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَام عَلَيْهِ**، وَخَلْعه وَنَصْب إِمَام عَادِل)، فهذا الحكم الشرعي مبنيٌ ومعلَّلٌ بالأمر الأول وهو وقوع الحاكم في الكفر) اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان].

ثم قال ـ رحمه الله ـ بعدما ذكر بعض أدلة الإجماع على وجوب خلع الحاكم الكافر: (إذاً فالحكم الشرعي المتقرر باتفاق العلماء سابقهم ولاحقهم أن الولاية لا تنعقد لكافر ـ أي كافرـ وأنه لو طرأ على الإمام كفرٌ بينٌ بواحٌ **وجب خلعه وتحتّم الخروج عليه، وأولى الناس بالنهوض لهذا الواجب هم العلماء، لأنهم المؤتمنون على الشرع المأمورون بتبيينه المنهيون عن كتمانه وإخفائه** كما قال الله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ)** [آل عمران/187]، **ولن يقوم هذا الدين إلا بالعلماء المبلِّغين للحق كما أنزل**، الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر لا يخافون في الله لومة لائم، ولهذا جاء في نفس حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قوله : «**وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**».

والعلماء - رحمهم الله ـ حينما قرروا هذا الحكم وبينوه، يعلمون أن للحاكم الكافر الذي زالت ولايته بكفره طائفة من الناس تقاتل دونه وتنافح لحمايته، فالخروج عليه **يقتضي حتماً مقاتلة كل مَن يقف مدافعاً عنه،**

ومعيناً له في بقاء سلطانه واستمرار حكمه، **لأن أمر العزل لو كان يتعلق بتغيير الحاكم من غير إراقة دماء ولا احتدام قتال لكان يسيراً ولما عبّر العلماء بقولهم : (وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَام عَلَيْهِ)**، هذا مع أن التاريخ والواقع والفِطَر شاهدة على أن إزالة حاكمٍ متسلطٍ وإقامة آخر محلّه من غير قوة ولا مدافعة ولا مقاتلة **أشبه بالأحلام**، ومن هنا فإن التورع في قتال جيش أو طائفة الحاكم الذي زالت ولايته بكفره، **هو تورع في غير محلِّه، لأنه مؤدٍ إلى تعطيل حكم شرعي واجبٍ بصريح حديث النبي ﷺ واتفاق العلماء**، وهو وجوب خلع هذا الحاكم الكافر المتسلط وتنصيب إمام مسلمٍ مكانه، وهذا يبيِّن أن نطق هذه الطائفة المدافعة عن الحاكم الكافر بالشهادتين أو إتيانها بأركان الإسلام أو بعضها أو غير ذلك من شعائر الإسلام لا يمنع من الاجتهاد في مقاتلتها، فالعلماء ـ رحمهم الله ـ علّقوا وجوب الخروج على الحاكم بكفره هو، ولم يشترطوا كفر طائفته التي تقاتل دونه، وهذا مُدرَكٌ بالاعتبار **لأن الفساد العريض، والشر المستطير، والظلم الكبير الذي سيشمل الدين والدنيا يكفي في شيوعه وفشوه كفر الحاكم وخلعه ربقة الإسلام من عنقه.**

عن أمّ سَلَمَة زوجِ النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنّه قال: «**إنه يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ من رضي وَتَابَعَ» قالوا: يا رَسُولَ اللهِّ ألا نُقَاتِلُهُمْ؟ قال: «لَا ما صَلَّوْا»** [رواه مسلم، وأحمد، وأبو داود، وغيرهم]، فهؤلاء المدافعون عن الحاكم الكافر الذي أمر المسلمون بخلعه وإزالته لم يكتفوا بعدم الإنكار، أو الرضى القلبي، بل أيدوه بأنفسهم، وقاتلوا دونه بأسلحتهم، وحفظوا ملكه بمهجهم، فهم متابعون له ولا شك، فلا محل إذاً في هذه الصورة للبحث عن إسلام أو كفر هؤلاء المقاتلين عن الحاكم الكافر الذي أوجب الشرع خلعه، لأن الخطاب الشرعي قد توجه إلى جهة محدّدة، وصار له مقصدٌ معينٌ ألزم به الناس، وهو إزالة هذا الحاكم الكافر الذي تسلط على المسلمين وبلادهم، فكل من وقف دون تحقيق هذا المقصد الشرعي فهو جزءٌ من المنكر الذي يجب تغييره وإزالته، **ومعلومٌ أن هذا الواجب لا يمكن تحقيقه إلا بقتالهم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ)** اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان] فأي كلام في بيان المراد أوضح من هذا؟.

ويقول ـ رحمه الله ـ في رسالته [دفع الملام عن مجاهدي مغرب الإسلام] بعد كلام سبق: (وبالجملة فإن حكم قتال الطائفة الممتنعة ولو عن شريعة واحدة من شرائع الإسلام الظاهرة **متفقٌ عليه بين العلماء**، ولا يمنع من قتالهم نطقهم بالشهادتين، ولا التزامهم بشرائع الإسلام الأخرى، فكيف بالطوائف التي امتنعت

عن معظم شرائع الإسلام ونبذت كتاب الله وراءها ظهرياً، وجاهرت بحربها على تلك الشرائع، وحرست كل القوانين والنظم والمراسيم التي تصادم شريعة الله وتناقض أحكامه، بل وأجبرت الناس على احترامها والتزامها وتقديسها، ولم تزل تحارب وتنكّل بكل من خالفها فتستحلّ دمه، وماله، وعرضه، وتصبّ عليه من العذاب ما لا يخطر على بال، **فهل هذه الطوائف بهذه الصفات التي علمت من أحوالهم بالاضطرار إلا عدوٌ صائلٌ يفسد الدين والدنيا**، وانظر إلى آثارهم على البلاد والعباد لترى مدى الفساد الذي جرّوه عليهم، فهدموا العقائد، وحطموا الأخلاق، وأهلكوا الاقتصاد، ونهبوا الأموال، ونشروا الظلم، واسبتاحوا المحرمات، وهتكوا أستار الحياء، ونشروا الفاحشة في الذين آمنوا، واتخذوا دينهم لعباً ولهواً، واتخذوا آيات الله هزواً، وحاربوا وأبعدوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، وقرّبوا وأيّدوا الذين يتبعون الشهوات ليُميلوا الخلق عن الحق ميلاً عظيماً، وغير ذلك من الفساد العريض والشر المستطير الذي جرّه دين الجاهلية وقنَّنْته مؤسساته، وحرسته ودافعت عنه وفرضته أجهزته و(طوائفهم الممتنعة) حتى صار وجه البلاد شاحباً مظلماً من فرط ما فشا فيه من الكفر والفسوق والعصيان، وظهر الفساد في البر والبحر والجو، وحلّ بها من الفقر والشر والضنك والذلة والمسكنة ما عرفه القاصي والداني، وغدا المرء لا يأمن فيها لا على دينه، ولا نفسه، ولا عرضه، ولا أهله، ولا ماله، فأي شهادتين تلك التي ستعصم طوائف تقترف كل هذه الجرائم والعظائم، وتوقف نفسها لنشرها وفرضها وتشريد من يحاول رفضها، وهل خلقنا لنكون عبيداً لهؤلاء العبيد لا نملك أمامهم إلا الاستكانة والاستسلام والخضوع والمداهنة؟

(فيا معشر العُقلاء! ويا جماعات الأذكياء وأولي النهى!

كيف ترضون أنْ تجري عليكم أحكامُ أمثالكم، وأفكارُ أشباهكم، أو مَن هم دونكم، مِمّن يجوز عليهم الخطأ، بل خطأهم أكثرُ من صوابهم بكثير، بل لا صواب في حُكمهم إلاّ ما هو مُستمدٌّ من حُكم الله ورسوله، نصًّا أو استنباطًا؟!!

تَدَعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم، وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم، وفي أموالكم وسائر حقوقكم!! ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحُكم الله ورسوله، الذي لا يتطرّق إليه الخطأ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد!!

وخُضوع الناس ورضوخهم لحكم ربِّهم خضوعٌ ورضوخٌ لِحُكم مَنْ خلقهم تعالى ليعبدوه.. فكما لا يسجدُ الخلقُ إلاّ لله، ولا يعبدون إلاّ إياه ولا يعبدون المخلوق، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو

ينقادوا إلاّ لحُكم الحكيم العليم الحميد، الرءوف الرحيم، دون حُكم المخلوق، الظلوم الجهول، الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات.

فيجب على العقلاء أن يربأوا بنفوسهم عنه، لما فيه من الاستعباد لهم، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض، والأغلاط، والأخطاء، فضلاً عن كونه كفرًا بنصِّ قوله تعالى: **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** [المائدة/44]] [رسالة تحكيم القوانين للعلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله].

وهذا الرفض، وإباء الخضوع لتلك الأحكام، والتحرر من استعبادها، لن تستجلبه المظاهرات، ولا الإضرابات، ولا المؤتمرات، ولا المقالات، ولا التنديدات، ولا الاستجداء، ولا التوسّل، ولا التسوّل، ولا إنشاء المنظمات الخيرية، ولا مؤسسات حقوق الإنسان، لأنه تحريرٌ لمجتمعات من ربقة العبودية للعباد، إلى عبادة رب العباد، **وذلك لن يكون إلا بمقابلة الشر المسلح بالحق المسلح، وإقامة سوق البذل والتضحية والبطولات، والتنصل من كل علائق الدنيا وعوائقها، ورفع راية الجهاد وخوض معامع الجلاد، وكسر شوكة هؤلاء الفاسدين المفسدين، بدك معاقلهم، ونسف ثكناتهم، وتدمير معسكراتهم، والكمن لقوافلهم، واقتحام مراكزهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**

وكُنْت إذا قَوْمٌ غَزَوْني غَزَوْتُهم ... فهَل أنا في ذا يا لَهَمدان ظالمُ

مَتَى تَجْمَع القَلْب الذَّكي وصارِماً ... وأنْفاً حَمِياً تَجْتَنِبْك المَظَالمُ

فلا صُلْحَ حتَّى تُقْرَعَ الخيلُ بالقَنا ... وتُضْرَبَ بالبيضِ الرِّقاق الجَماجِمُ

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ: (كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة **فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين**، وإن تكلمت بالشهادتين فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلّوا، وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة، وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان، أو حج البيت العتيق، وكذلك أن امتنعوا عن تحريم الفواحش، أو الزنا، أو الميسر، أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة، وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء، والأموال، والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة، وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة، واتباع سلف الأمة وأئمتها، مثل أن يظهروا الإلحاد في أسماء الله وآياته، أو التكذيب بأسماء الله وصفاته، أو التكذيب بقدره وقضائه، أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على

عهد الخلفاء الراشدين، أو الطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا في طاعتهم التي توجب الخروج عن شريعة الإسلام وأمثال هذه الأمور، قال الله تعالى: (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِّ**) [البقرة: 193]، فإذا كان بعض الدِّين لله وبعضه لغير الله؛ وجب القتال حتى يكون الدِّين كله لله) [مجموع الفتاوى: 28 / 511]) اهـ.

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ بعد بحث مطول وكان بصدد الحديث عن بعض الأعمال العسكرية في بعض البلدان التي يرى فيها الشيخ الكتاني عدم مشروعية العمل المسلح (الجهاد):

(**فخلاصة القول وصفوته إذاً :**

أولاً: أن هذه الأجهزة التي يستهدفها إخواننا المجاهدون في المغرب الإسلامي، سواء كانت من الجيش، أو الدرك، أو الحرس الوطني، أو الاستخبارات، أو غيرها إنما يتقصّدونها باعتبارها طوائف ممتنعة ذات شوكة تحتمي بها في امتناعها عن إقامة أحكام الإسلام وشرائعه الظاهرة المتواترة، **وهذا الوصف في حقِّها وحده كافٍ لمقاتلتها، وهو حكمٌ ثابتٌ بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وإجماع الأمة.**

ولا ينبغي للمجاهدين بحالٍ **أن يخالجهم أدنى شك أو تردد أو اضطراب في مشروعية جهادهم ضد هذه الطوائف، وأنهم يقومون بفريضة عظيمة، وشعيرة جليلة،** (حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حاضرين في هذا الزمان **لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين**) [مجموع الفتاوى: 28 /421].

كيف والمجاهدون يرون بأم أعينهم امتناع هذه الطوائف امتناعاً حقيقياً وإباءها إباءً متعنتاً عن الاستسلام للدِّين، ورفضها رفضاً باتاً لشريعة رب العالمين، وفي المقابل عضّها بالنواجذ والأضراس، وتشبّثها بالأيدي والأرجل على النظام العلماني الجاهلي واستماتتها في ترسيخه والدفاع عنه، **فليس يصح في الأذهان شيء متى احتاج النهار إلى دليل، ومن شك في المشاهدات فليس بكامل العقل**) [دفع الملام عن مجاهدي مغرب الإسلام]

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ بأن هذه الطوائف الممتنعة (لم تكتف بالامتناع عن إقامة أحكام الشرع ورفض الالتزام بشرائعه، **بل زادت على ذلك بدءها ومبادرتها وإعلانها للحرب السافرة على كل من يسعى لإقامة الدين، ويطالب بتحكيم شريعة رب العالمين**، ويحاول الخروج عن أحكامهم الجاهلية، وتستحلّ منه كل شيء، فهي بذلك قد أضافت إلى الامتناع (صيالَها) على الدين والأنفس والأموال والأعراض، **فصار قتالهم بذلك قتالاً لدفع عدوّ صائلٍ يقصِد قبل أن يُقصَد، ويعتدي قبل أن يعتدى عليه:** (وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع

دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا **لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان** وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم وبين طلبه في بلاده) [الفتاوى الكبرى: 5 /537]) اهـ [المصدر السابق].

ولوضوح هذه المسألة وضوحا بيناً لدى طوائف الجهاد ومشايخهم، يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني ـ حفظه الله تعالى ـ: (معركتُنا مع المرتدّين هي معركةٌ **قد فرغنا من أصولها الشّرعيّة**، حيث تبيّن لنا بكلِّ وضوحٍ حُكْمَ الله تعالى في الحكّام وطوائفهم..

إنّ الدّور الآن بعد الفراغ من معرفةِ حُكم الله تعالى فيهم، أن نسمع لخبراء ومستشارين وقادة من نوع جديد..) اهـ [بين منهجين 66]، ويشير إلى ما هي الطّريقة العسكرية القتالية المثلى في إسقاط الحكام المرتدين، وأن أهل الخبرة العسكرية هم من يختار ذلك..

وبعد..

فتلك جملة طيبة من أقوال الفقهاء، ولمحة سريعة حول مسألة وجوب خلع الكافر وجهاده؛ وإلا فإن نصوص أهل العلم في هذا كثيرة، والحجج واضحة منيرة، ولولا خشية الإطالة لذكرت هنا عشرات الأدلة والبراهين حول تقرير هذه المسألة، وبما أنه يتحقق المقصود بما ذُكِر فلا داعي إلى الإسهاب والإطناب، فلله الحمد والمنة..

يقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (وأقوال العلماء والأئمة كثيرة مشهورة في وجوب قتال أية طائفة امتنعت عن شريعة واحدة من شرائع الإسلام الظاهرة، **وهم متفقون على ذلك، لا اختلاف بينهم فيه**) اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان].

ـــوقبل الخروج من هذه النقطة أسوق هذه الفائدة النفيسة:

يقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (وهنا حقيقة يغفل عنها الكثيرون ممن يقرِّرون مسألة الخروج على الحاكم الكافر، والتي وقع الإجماع على أن الولاية لا تنعقد له ولا يقرّ عليها بحال، وذلك أن مسألتنا المعاصرة سواء في باكستان أو في غيرها، ليست هي مجرد ارتداد حاكم بارتكابه ناقضاً من نواقض

الإسلام الخاصة به كجحوده لوجوب الصلاة، أو لاستحلاله الخمر، أو غير ذلك، وإنما أصبحت هذه الدول بهيئتها وشخصيتها وكيانها الكلي تقوم على أصول الكفر وأسس الردة والتمرد على الحق، نابذة قاعدة الاستسلام للشرع والإذعان لأحكامه وراءها ظهريا، ولذلك تراها لا تتأثر بذهاب طاغية ومجيء آخر، بل الدولة هي هي، بدستورها (ياسقها)، ومؤسساتها، وأجهزتها، وسياساتها، وقوانينها، ونُظمها، وما قد يحصل فيها من تغييرات أو (انفتاح) يسعد به البعض، فهو لا يخرج عن الإطار العام الذي يلتزمه الجميع ألا وهو الخضوع للدستور واحترام التشريعات العامة التي لا تمت للإسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد، **فالأمر الشرعي المتحتم لم يعد متعلقاً فقط بالخروج على فردٍ حاكمٍ ارتد من أجل إسقاطه، وإنما باقتلاع جذور هذا النظام الجاهلي الطاغوتي الذي ضرب بجرانه في المجتمعات المسلمة وصارت ترزح تحته وتغوص في أعماقه**، والسعي لإرجاع الدولة بكاملها إلى الاستسلام للإسلام والانقياد لأحكامه والإقرار بسيادته وسلطته وهيمنته، **وهذه المسألة لا بد أن يدركها المجاهدون تمام الإدراك وأن يتعمقوا في فهمها** وهو أن سعيهم اليوم لم يعد مقتصراً على مجرد (الخروج على الحاكم الكافر) **وإنما الخروج على النظام والقانون والحكم والتشريع الكافر الذي تمرد بكليته على دين الله وتشريعه وأحكامه وزحزحه وحلّ مكانه**، والله تعالى أعلم) اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان].

وبما أن الشيخ الكتاني ـ وفقنا الله وإياه ـ لا ينازع ـ كما أعلم ـ في كُفْر حكام المسلمين الذين لا يرى أن هناك مصلحة في الخروج عليهم وجهادهم بهذه الطريقة التي تقوم بها بعض طوائف الجهاد التي تعرَّض لانتقادها، بل يراه الفساد بعينه لأجل ما عدّه من المفاسد التي بسببها لا يرى عدم مشروعية العمل المسلح في بلاد المسلمين ـ الخروج على الحاكم ـ فلا نطيل الكلام حول تقرير تلك المسألة التي أُشبِعت بحثا من قِبل الكثير من العلماء والدعاة وطلبة العلم، وقد تقدمت الإشارة إلى أبحاث علماء المجاهدين ودعاتهم حول ذلك، فلن يعدمها طالب الحق والباحث عنه ـ إن شاء الله تعالى ـ وقد صار يُتَوَصَّل إليها بأيسر السبل ولله الحمد.

إذاً؛ فالنزاع مع الشيخ الكتاني ـ بصّرنا الله وإياه ـ حول موضوع وقضية المفاسد المترتبة على الخروج على الحكام كما قرر وأشار في (تغريداته)، وكان هو الدافع ـ كما هو ظاهر ـ في كتابة دراسته (تقويم المسيرة)، ولذا ننتقل إلى النقطة التالية:

6/هل مفسدة الخروج على الحكام تربو على مفسدة البقاء تحت حكمهم، ومن يقدِّر المصالح والمفاسد في مثل هذه القضايا؟:

لا شك أن القائلين بعدم جواز الخروج على الحاكم الكافر اعتمدوا فيما ذهبوا إليه على فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، وأن مفسدة الخروج على الحكام تربو على المصلحة المرجوة من هذا الخروج، خاصة وأنهم استندوا إلى بعض التجارب الحاصلة في بلاد المسلمين وما آلت إليه من الفشل الظاهر، واعتبار المفاسد والمصالح كما هو معلوم؛ من الأمور التي لا تقبل الخلاف، وإنما الخلاف يكمن في تقديرها لا في أصل الاعتبار لهذه القاعدة.

وحقا فعند حلول الفتن، وتشابك المصالح والمفاسد وتداخلها، يصعب كثيرا تقديرها والموازنة بينها، فإنه إذا اختلطت هذه بتلك، وقع الاشتباه، وحصل الاضطراب والحيرة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: (فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم، فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجِّحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجِّحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة، والمتوسطون الذين ينظرون الأمرين قد لا يتبين لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة، أو يتبين لهم فلا يجدون من يعينهم العمل بالحسنات وترك السيئات ؛ لكون الأهواء قارنت الآراء..) اهـ [مجموع الفتاوى: 20 /57ـ 58ـ المكتبة الشاملة].

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (فإن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين) اهـ [منهاج السنة النبوية: 6 /72ـ المكتبة الشاملة].

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين ، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعا ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع) اهـ [مجموع الفتاوى:10 /512ـ المكتبة الشاملة].

ويقول الإمام الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح العباد؛ فالتكليف كله إما لدرء مفسدة، وإما لجلب مصلحة، أو لهما معا) اهـ [الموافقات 1 /318ـ المكتبة الشاملة]، ونصوص

الفقهاء في تقرير هذه المسألة وأن المصلحة هي علّة الأحكام كثيرة جدا لا يأتي عليها العد والحصر ولله الحمد فلا داعي إلى الإطالة..

وننتقل إلى من يقدِّر المصالح والمفاسد في مثل هذه القضايا، والحديث عن تفاوت الأنظار أثناء الترجيح بين المصالح والمفاسد ـ وهنا بيت القصيد ومحلّ النشيد ـ فأقول وبالله التوفيق:

لما كانت هذه القضية ـ الموازنة بين المصالح والمفاسد ـ مما تتفاوت فيها الاجتهادات وتتباين فيه التقديرات والأنظار، كان لابد لها من دراسات تشاورية معمّقة مبنية على دراية بالشرع، وفهم عميق للواقع ـ ركنا الفتوى ـ مع صِدق وتقوى، حتى لا تختلط الآراء بالأهواء، والنزعات الشخصية بالاختيارات الفقهية، خاصة إذا كانت الاختيارات مكلِّفة مثل أبواب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يتبصّر خفايا وخبايا ومكامن النفوس يدرك ضرورة التنبيه على ذلك، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

وللأسف الشديد فأمر هذه القدرة التي ينبغي أن يتكلم فيها أهل الشأن تصدى وتحدث عنها بعض من لم ليس لهم أي تخصص في هذا المجال، وبالتالي فليسوا أهلا للحديث عن تقدير هذا الأمر الذي ينبغي أن يُسند إلى أهله، ومن يقحم نفسه في الحديث عما يجهله، فقد أخطأ خطأ بيّنا..

وعليه: فيجب أن نبين هنا بأن مسألة تقدير المصالح والمفاسد في مثل هذه القضايا والنوازل العظيمة، ومن ثَمَّ الحكم على ما يُسْتخلص منها؛ هو ليس عمل داعية أو طالب علم ولا عالم وحده ولو حفظ جميع الصِّحاح والمسانيد، وجمع علوم الأولين والآخرين، وإنما يحصل ذلك بالشورى وتبادل الدّراسات والمناقشات وما إلى ذلك بين أهل العلم (الشرع) وأهل الاختصاص بميادين الحرب (الواقع) وهم ـ جميعا ـ أهل الشأن الذين يدرسون الأمر بعناية فائقة؛ فهي من النوازل العويصة التي تستدعي وتستحق ذلك، كما كان يفعل سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ الذين قال الله سبحانه عنهم: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى/38]، أمّا أن ينفرد كل واحد برأيه واختياره الذي قد يكون قرّره خلال لحظة سريعة، أو تحت ضغط شهوة عابرة، أو سطوة الخوف من تحمّل التكاليف فيقدِّم ما يشاء، ويلغي ما يشاء، ويحرِّم ويجرِّم، ثم ينشره كما يشاء في "حسابه" أو على "قناته" موهِماً الناس أنه الحق الذي لا مرية فيه؛ فلا! وليس هذا بالنهج القويم، والمسلك السديد أبدا.

إن ما يُنكَر على المجاهدين في هذا الباب، هو أنهم لم يحقِّقوا المصلحة الشرعية من جهادهم، وبالتالي صار عملهم غير مشروع ـ كما أشار الشيخ الكتاني وغيره ـ وذلك بناء على المفاسد المترتِّبة على الخروج على الحكام المرتدِّين الفاسدين المفسدين، والتي تربو على المصالح التي سعوا إلى تحقيقها (إزالة الطواغيت وتنحية أحكامهم الوضعية الوضيعة، ورفع راية الإسلام وتحكيم الشريعة)، **وأعقِّب على هذه النقطة بما يلي:**

أ) سبقت الإشارة إلى أن قضية سرد المفاسد ودراستها وتقييمها ومقارنتها مع المصالح ومِن ثَمَّ الترجيح بينها، ليس عمل داعية أو طالب علم أو عالم وحده، وإنما يحصل ذلك بالشورى وتبادل الدراسات والمناقشات وما إليه، لبركة الشورى وحثّ الشرع عليها وقد تصل إلى حد الوجوب **(أولا)**، ثم لمظنّة الخطأ في اجتهاد وفتوى وتقدير الفرد الواحد **(ثانيا)**.

ب) من الملاحَظ كثيرا على بعض من ينتقد المجاهدين اليوم، أنه دائما يبرز سلبياتهم ويضخِّم أخطاءهم ويستعمل معها "العدسات المكبِّرة" ليدلِّل على صحة المذهب الذي يقول به ويذهب إليه، دون ذِكْر إيجابياتهم والمصالح التي حقَّقوها من خلال جهادهم الطويل، وإِنْ ذَكَرَها فعلى استحياء، وبإشارات يسيرة جدا، وإن تكلّم فلا يكاد يبين!، وهذا ليس من الإنصاف في شيء، وليس من العدل الذي أمر الله تعالى به، فهل هو هدم للجهاد وثمراته بالشك المجرد أو هو التكتّم المتعمَّد؟!.

لقد كان الواجب على من تصدى وتطرّق لهذا الموضوع أن يذكر ـ بتجرّد وإنصاف ـ الإيجابيات والسلبيات، ثم يجري عملية المقارنة والموازنة، ليخرج بالنتيجة الصحيحة، ويدور عمله بعد ذلك إِنْ تحرّى الحق والصِّدق وبذَل الوسع؛ بين الأجر والأجرين ـ إن شاء الله تعالى ـ أم أنهم يصابون بالعُقَد النفسية عند الحديث عن فضل ومكتسبات المجاهدين؟!. وصدق من قال:

وعين الرِّضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تُبدي المساويا

وأسجِّل هنا ما يلي:

ملاحظة على رسالة (تقويم المسيرة) للشيخ الكتاني غفر الله لي وله:

قرأت رسالة الشيخ الكتاني (تقويم المسيرة) مرتين، ومما يلاحَظ عليها أنها غير شاملة ولا موسَّعة، فقد اختزل الكثير من الأحداث والمراحل، ومرّ عليها مرور الكرام، كذلك أهمل ـ عفا الله عنا وعنه ـ ذِكر

إيجابيات الجماعات الجهادية، وما أكثرها وأبْيَنها لمن يروم العدل والإنصاف في الوقت الذي يركِّز ويسلِّط الضوء هو وغيره ـ ما استطاع إلى ذلك سبيلا وأحيانا بشيء من التكلف ـ على أخطاء هذه الجماعات؛ فهل هذا ما يقتضيه التقويم فضيلة المشايخ؟!..

نعم.. كثير هم الذين يكتبون عن تقويم المسيرات وانتقاد (الحركات الجهادية)، ولكن قليل من يتحلى بالإنصاف والموضوعية حينما يكتبون، ورحم الله الإمام الشعبي إذ يقول: (لو أصبت تسعا وتسعين، وأخطأت واحدة، لأخذوا الواحدة وتركوا التسع والتسعين!) [حلية الأولياء:4/321ـ320ـ المكتبة الشاملة]. وسأذكر ـ بحول الله تعالى ـ في آخر هذه الرسالة فصلا طيبا للشيخ أبي مصعب السوري ـ رحمه الله حيا وميتا ـ حول (إيجابيات التيار الجهادي خلال أربعين عاما مضت) من سِفره الضخم (المقاومة الإسلامية العالمية) فانتظره وانظره، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر/14]..

والآن إلى المقصود من النقطة السابقة (وقفة مع حجة: مفسدة الخروج على الحكام):

لقد علّل من ذهب إلى حكم: (عدم مشروعية الخروج على الحكام) ببعض المفاسد التي ذكروها وصرّحوا بها، **ومنها**: كثرة القتل، سفك الدماء، سجن الشباب، حصول البلاء الذي تسبب في انتكاس البعض، انتشار الغلو، تأخر الدعوة وضياع مكتسباتها بسبب ملاحقة الطواغيت لها جراء بعض أعمال الجهاديين.. إلى آخر ما عدّوه وهو مبثوث مثبت في كتبهم ومحاضراتهم، ومجالسهم الخاصة والعامة تلميحا وتصريحا..

وكما جاء في "تغريدات" الشيخ الكتاني، وأنقلها بحرفها، قال: (و من نظر للتجارب الإسلامية المعاصرة منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم سيجد كلامي صحيحا، بدأ بالجناح العسكري للإخوان المسلمين، مرورا بحركة التحرير الإسلامي لصالح سرية في مصر إلى ثورة الجماعة الإسلامية و الجهاد ضد السادات ومبارك، والعمل المسلح في الشام بقيادة الطليعة المقاتلة، إلى العمل في الجزائر بقيادة مصطفى بن أبي يعلى ثم الجبهة الإسلامية للإنقاذ، والعمل المسلح في تونس إبان الزين بن علي، وآخرها عمل القاعدة المسلح ضد المملكة السعودية سيجد النتيجة كالتالي:

فشل العمل المسلح تماما، امتلاء السجون بالشباب المتدين، تراجع الدعوة الإسلامية وتشديد القيود عليها، انتكاس الكثير من القيادات والشباب إما عن منهجهم الواضح أو عن الاستقامة كلها، هروب الناس من أصحاب الدعوة الإسلامية الصافية ووصمهم بشتّى التهم الباطلة)، ثم أتبع ذلك بقوله:

(وبالجملة فالشريعة الإسلامية جاءت لجلب المصالح ودفع المفاسد، واتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا تسبب في منكر أكبر منه فتركه يصبح متعينا إلا فيما لا يؤدي لانتشار الشر واستفحاله) اهـ.

وللإجابة على تلك النقاط، أقول وبالله التوفيق:

بداية ليُعلم أن المجاهدين في سبيل الله تعالى، التزموا بالحكم الشرعي طاعة لله سبحانه ورسوله ﷺ ، وهو الخروج على الحاكم الذي طرأ عليه الكفر البواح، **وهذا واجب بإجماع الفقهاء** كما تقدَّم بيانه في النقطة السابقة: (**ماذا نصنع إذا طرأ الكفر البواح على الحاكم**) والعاقل من أطاع الله كما أورد ذلك ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ عن واحد من السلف اهـ [الإحكام: 1/9 ـ المكتبة الشاملة].

فغاية ما قام به المجاهدون ـ نصرهم الله تعالى ووفّقهم ـ هو الالتزام بالواجب ـ الجهاد ـ **وذلك لورود النص الذي يلزم الأمة بخيار الخروج**! وهو عين المصلحة فيما نعتقد، إذ المصلحة هي العمل بالنص وهو الأصل، وما سيحصل هي توقّعات وتخمينات خالطها الكثير من الأهواء، وفي حال وقوع الأخطاء خلال الجهاد؛ والتي هي مصاحبة لأي حركة بشرية!، نقوم بالتقويم والمراجعة، لا التراجع والنكوص على الأعقاب، وسيأتي لهذا مزيد بيان في النقطة التاسعة: (**أسباب الانتكاسات وتراجع بعض الحركات الجهادية، وما العمل حينما تحصل الأخطاء**)..

ثم إن من تمام الفقه والعدل والعقل والموضوعية؛ أنه عند الحديث عن مفسدة الخروج على الحكام المرتدِّين المبدِّلين لشريعة ربِّ العالمين، لا بد من الحديث أيضا **عن الأخطار والآثار المترتبة على الحكم بالقوانين الوضعية، ومفاسد تسلُّط قوانين الجاهلية وشريعة الغاب والناب على المسلمين**، وهي نقطة مهمة جدا؛ (وبأضدادها تتمايز الأشياء) كما قيل..

جاء في كتاب (العمدة في إعداد العدة/عبد القادر بن عبد العزيز ـ فك الله أسره ـ) ما يلي ـ وتأمل جيدا ـ:

(وهذه المسألة، ألا وهي كفر الحكام الحاكمين بغير شريعة الإسلام ووجوب جهادهم، هي عندي ـ في خطرها ـ تضارع حادثة الرِّدّة بعد وفاة النبي ﷺ ، إذ إن هذه المسألة تهدِّد جماهير غفيرة من المسلمين وأبنائهم بالرِّدّة الشاملة **إذا تُرِك الحال على ما هو عليه من فساد وإفساد هؤلاء الحكام، وتبديلهم للشرائع والمفاهيم، وإشاعتهم للفواحش في المسلمين**، ولو كان الصحابة رضي الله عنهم أحياء اليوم، **لكان أعظم**

أعمالهم هو جهاد هؤلاء الحكام، وهذه المسألة تفوق في فتنتها فتنة خلق القرآن أضعافا مضاعفة) اهـ.

وعند التأمل الظاهر ومن خلال إجراء نظرة فاحصة على واقع حال المسلمين اليوم ومنذ تسلّط كفرة الحكام عليهم، يدرك جيدا بأن هذه القضية حقا: (تهدِّد جماهير غفيرة من المسلمين وأبنائهم بالرِّدة الشاملة إذا تُرِك الحال على ما هو عليه من فساد وإفساد هؤلاء الحكام، وتبديلهم للشرائع والمفاهيم، وإشاعتهم للفواحش في المسلمين) نسأل الله أن يحفظ للمسلمين دينهم، وماذا ينتظره المسلم من شريعة: الكفر والعهر، والطاغوت، والشيطان، والجاهلية، والظلمات، والضلال، والعمى، والأهواء، والظلم والبغي، والخراب والبوار، والمعيشة الضنك، والمصائب، والدمار والهلاك.. إلخ، وهل ينتظر غير غزو هذه الرِّدّة الشاملة بكل وسائلها وبرامج إفسادها ـ التي تفوق برامج أهل الحق بأضعاف مضاعفة! ـ لمجتمعات المسلمين، وتضليلهم وتغريبهم إلخ الموبقات والطوام العظام، وكلها مفاسد تفوق مفسدة الخروج عليهم عند التدبّر والتأمّل، وإجراء عملية المقارنة والموازنة..

يقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (هذا وإن أمر غياب الشريعة الإسلامية، وتولِّي شرذمة من الناس كِبر إقصائها ومحاربة الداعين إليها وفرض قوانين الكفر على المسلمين صار سمة عامةً في بلدانهم، ولم تزل الأمة على هذه الحال عقوداً من الزمان، حتى نشأت بسبب ذلك أجيال لا تعرف من الإسلام إلا الأسماء، ولا تدرك من أحكام الشريعة إلا العناوين، وطال عليهم أمد غيابها فألِفوا ما هم فيه واعتادوه فلم يعد يشعر بعظم الفادحة التي هم فيها إلا القليل، وهكذا الإلف يورث التبلد ويبعث على موت القلب، ولو علموا قبح الواقع الذي هم فيه وأدركوا شناعة الداهية الصماء التي يعيشون وسطها لبذلوا للتخلص منها وتخليص العباد من شرها كل غال ونفيس **ولاسترخصوا في سبيل دفعها أموالهم وأنفسهم، ولعلموا أن كل مصيبة تهون بجانب مصيبة تغييب الشرع وإحياء أنظمة الطاغوت** والله المستعان) اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان]، فأي فتنة أعظم من هذه: (حتى نشأت بسبب ذلك أجيال لا تعرف من الإسلام إلا الأسماء، ولا تدرك من أحكام الشريعة إلا العناوين، وطال عليهم أمد غيابها فألِفوا ما هم فيه واعتادوه فلم يعد يشعر بعظم الفادحة التي هم فيها إلا القليل) كما في كلام الشيخ أبي يحيى رحمه الله تعالى.

إن تلك الرِّدة التي هددت المسلمين سنين عددا ولا تزال، **ليس لها حلّ إلا التصدِّي لها بالجهاد بنوعيه**، جهاد البيان ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان/52]، وجهاد السنان: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ**

حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾ [الأنفال/39]، ويؤكّد الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ بأن دفع ذلك الشر وتحرير المجتمعات من ربقته (لن يكون **إلا بمقابلة الشر المسلح بالحق المسلح**، وإقامة سوق البذل والتضحية والبطولات، والتنصل من كل علائق الدنيا وعوائقها، **ورفع راية الجهاد وخوض معامع الجلاد**، وكَسْر شوكة هؤلاء الفاسدين المفسدين، بِدَكِّ معاقلهم، ونسف ثكناتهم، وتدمير معسكراتهم، والكمن لقوافلهم، واقتحام مراكزهم **حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**) وقد تقدَّم.

ويقول محرِّضا على قتال دولة "باكستان" وجيشها العميل: (وعليه فقد جاءت هذه الورقات المختصرات لتبيِّن أن قتال هذه الدولة **وما شاكلها** هو من الواجبات الشرعية التي لم يختلف فيها العلماء قاطبةً، وأن بَذْل الجهد في ذلك هو من أعظم الجهاد في سبيل الله، **لأن به حفظ رأس مال الأمة في إسلامها وعقيدتها وأحكامها**) اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان] وقِس عليها غيرها من الحكومات الكافرة الفاجرة.

إن التحذير من خطر هذه الرّدّة، وبيان حكم الله تعالى في هؤلاء الحكام المرتدّين ووجوب جهادهم وخلعهم من على صدر الأمة **لهو من أهم الواجبات على العلماء في مثل هذه الأزمان**، (وما أرى من أحد من المتسبين إلى العلم الشرعي في زماننا هذا لم يتكلم في هذه المسألة ـ مُنْكِراً ومُحَرِّضًا المسلمين على الجهاد ـ ما أرى مثل هذا يلقى اللهَ إلا واللهُ تعالى ساخطا عليه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة/159، 160]) ما بين قوسين من كتاب [العمدة في إعداد العدة].

وبعد تلك المآسي التي أشرت إليها مجرد إشارة فقط ـ فقد تصل لو تُعد وتُشرح إلى مصنَّف ـ قام المجاهدون بواجبهم نحو هؤلاء الحكام الخائنين الكافرين، الظالمين الفاسقين المجرمين، الذين والوا اليهود والنصارى وقدّموا ثرواتنا قربانا لهم، وأفسدوا دين ودنيا الناس أيما إفساد؛ وهو: الخروج والقيام عليهم بالسيف ﴿**حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ**﴾ [الأنفال/39]، فعين الفتنة تتمثل في السكوت عليهم والتذلل لهم لأجل أن يرخصوا لداعية فتح قناة وما إلى ذلك، وعدم جهادهم وتركهم يعبثون بدين الأمة وقيّمها، ودفع الفتنة يكون بقتالهم كما في صريح الآية السابقة وغيرها من نصوص الوحيين، وكلام أئمة الفقه والدِّين، وإنْ حصل بعد ذلك القتل، وتعرّض من تعرّض للسجن والتعذيب؛ إذ أن قَتْل النفوس وسجنها

وإصابتها بالأذى يهون في سبيل دفع فتنة الشرك والعياذ بالله، بل ذلك الأذى خلال صراعنا مع الكافرين حاصل لا محالة، وهو اختبار وابتلاء من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، وهذا معلوم لمن له أدنى همة في طلب العلم الشرعي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وذلك أن الله تعالى أباح من قَتْل النفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة/217]) أي أن القتل وإن كان فيه شرّ وفساد، **ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه)** [مجموع الفتاوى: 28/355ـ الشاملة].

ثم هل هناك جهاد في التاريخ بدون قتل وأسر ومحن وبلاء؟! وهل الجهاد نزهة صيد؟!..

وقد سمعنا بعضهم يشترط أنه يُنظر قبل الخروج كم من الدماء ستسيل!! وكم وكم.. إلخ الشروط والقيود المعقدة جدا؛ والتي تجعلك لا تفكر ـ مجرّد تفكير ـ في الجهاد حتى يأتي المهدي المنتظر!! (نعوذ بالله من الهوى).

وهل يفتي الشيخ الكتاني ـ ومن حذا حذوه ـ أهل الشام اليوم بالعودة عن الجهاد لما نراه من إبادة وقتل رهيب جدا في صفهم، والذي لم نر من قبل له مثيلا؟! لأن الجهاد حسب ما يؤصِّلون ويقعِّدون ـ ويبرمجون ـ قد أجلب لهم الويلات والدمار والمآسي والنكبات (لم تتحقق المصلحة) وبالتالي فهو غير مشروع؟؟!

وما حصل ويحصل في الشام اليوم، هو أضعاف أضعاف ما حصل من جراء خروج وجهاد بعض الحركات الجهادية التي يرى عدم مشروعية جهادهم بنفس تلك العلل العليلة!!

فماذا يقول فضيلة الشيخ؟!.

® وهاك مزيد بيان بأن مفسدة البقاء تحت حكم هؤلاء المرتدين تفوق بكثير مفسدة الخروج عليهم (حجة المعارضين)..

جاء في كتاب [العمدة في إعداد العدة/عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره] ما يلي:

(إنه لا خلاف بين الأمّة في وجوب حِفظ الضروريات الخمس وهي: الدِّين والنفس والنسل (النسب) والعقل والمال، **ولا خلاف في أن حِفظ الدين مقدم على حِفظ النفس**، ولهذا شُرِع الجهاد لحفظ الدِّين **مع أن فيه ذهاب الأنفس والأموال**، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاة وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآن**﴾ [التوبة/111]، **وقال تعالى**: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ [البقرة/216].

ولا شك أن الضرر النازل بالمسلمين مِن تسلّط الحكام المرتدِّين عليهم، وما في ذلك من الفتنة العظيمة، هذا الضرر يفوق أضعافا مضاعفة قتل بعض المسلمين المكرهين في صف العدو أو المخالطين له عن غير قصد حال القتال، **إن كثيرا من بلدان المسلمين تسير في طريق الرِّدة الشاملة من جراء هؤلاء**، **فأي فتنة أعظم من هذا؟**، **هذه فتنة تفوق ما يصيب المسلمين بالجهاد من قتل أو سجن أو تعذيب أو تشريد**، قال تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة/191]، وقال تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة/217]، فيجب دفع المفسدة العظمى (**فتنة الكفر والردة**) بتحمّل المفسدة الأخف (**وهو ما يترتب على الجهاد من قتل وغيره**) **وهذا هو المقرر في القواعد الفقهية الخاصة بدفع الضرر**، كقاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات) وقاعدة: (يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام) وقاعدة: (الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف) وقاعدة: (إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررا) وقاعدة: (يُختار أهون الشرين) وغيرها (انظر القواعد الفقهية للشيخ مصطفى الزرقا ـ قاعدة 20 و25 ـ 28).

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وذلك أن الله تعالى أباح من قَتْل النفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة/191]، أي أن القتل وإن كان فيه شرّ وفساد **ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه**) [مجموع الفتاوى: 28/355].

ألا ترون إلى ما يجري للمسلمين في كثير من البلدان؟ تستباح دماؤهم وأموالهم بأحكام الكفر، مع إشاعة الفجور والفواحش والتجهيل المعتمد بالدِّين والاستهزاء بالإسلام وأهله، ليشبّ النشء على صلة باهتة بدينه، **أي فتنة أعظم من هذا**، **وماذا بقي للمسلمين**؟ قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [سبأ/33]) اهـ.

ففتنة الكفر والشرك ـ والمتمثّلة هنا في الحاكم وشريعته التي يحكم بها وما يترتب عليها ـ أعظم من أيِّ محنة تصيب المسلم في ماله وبدنه، فالشرك فتنة تهون في سبيل دفعها جميع المصائب التي تصيب الإنسان، وسحقا للأنفس والأموال والراحة والدعة في سبيل إزالة الشرك وتحقيق التوحيد، يقول الشيخ سليمان بن سحمان ـ رحمه الله ـ: (إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر، فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل، قال تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة/217]، وقال: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة/191]،

والفتنة هي الكفر، **فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث بها رسول الله ﷺ**) اهـ من [الدرر السنية: 10/14 ـ المكتبة الشاملة].

فالاقتتال في سبيل إزالة ذلك الخطر المحدق بالمسلمين، والضرر النازل بهم كما سبق بيانه، أهون من جميع الأضرار التي تُرفع كل مرة في وجوه الدعاة والمجاهدين الذين يسعون إلى إزالة الأنظمة الكافرة عن طريق الجهاد في سبيل الله تعالى، (فلو اقتتلت البادية والحاضرة ، حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث بها رسول الله ﷺ)، فماذا يقول أصحاب المصالح الموهومة؟!..

وبمناسبة المقام أسوق هنا كلاما نفيسا للإمام الشاطبي فتأمل معه حيث يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولما أراد أبو بكر رضي الله عنه قتال مانعي الزكاة احتجوا عليه بالحديث المشهور فرد عليهم ما استدلوا به بغير ما استدلوا به وذلك قوله: (إلا بحقها) فقال: (الزكاة حق المال) ثم قال: (والله منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم لقاتلتهم عليه)، فتأملوا هذا المعنى فإن فيه نكتتين مما نحن فيه:
إحداهما: أنه لم يجعل لأحد سبيلا إلى جريان الأمر في زمانه على غير ما كان يجري في زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم وإن كان بتأويل، لأن من لم يرتد من المانعين إنما منع تأويلا وفي هذا القسم وقع النزاع بين الصحابة لا فيمن ارتد رأسا، ولكن أبا بكر لم يعذر بالتأويل والجهل ونظر إلى حقيقة ما كان الأمر عليه فطلبه إلى أقصاه حتى قال: (والله لو منعوني عقالا إلى آخره) مع أن الذين أشاروا عليه بترك قتالهم إنما **أشاروا عليه بأمر مصلحتي ظاهر تعضده مسائل شرعية وقواعد أصولية** لكن الدليل الشرعي الصريح كان عنده ظاهرا **فلم تقو عنده آراء الرجال أن تعارض الدليل الظاهر فالتزمه ثم رجع المشيرون عليه بالترك إلى صحة دليله تقديما للحاكم الحق وهو الشرع.**

والثانية: أن أبا بكر رضي الله عنه **لم يلتفت إلى ما يلقى هو والمسلمون في طريق طلب الزكاة من مانعيها من المشقة** إذ لما امتنعوا صار مظنة للقتال **وهلاك من شاء من الفرقتين ودخول المشقة على المسلمين في الأنفس والأموال والأولاد** ولكنه رضي الله عنه لم يعتبر إلا إقامة الملة على حسب ما كانت قبل فكان ذلك أصلا في **أنه لا يعتبر العوارض الطارئة في إقامة الدين وشعائر الإسلام نظير ما قال الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ

فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، فإن الله لم يعذرهم في ترك منع المشركين خوف العيلة، **فكذلك لم يعد أبو بكر ما يلقى المسلمون من المشقة عذرا يترك به المطالبة بإقامة شعائر الدين حسبما كانت في زمان النبي ﷺ** وجاء في القصة أن الصحابة أشاروا عليه برد البعث الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم مع أسامة بن زيد ـ ولم يكونوا بعد مضوا لوجهتهم ـ ليكونوا معه عونا على قتال أهل الردة فأبى من ذلك وقال: ما كنت لأرد بعثا أنفذه رسول الله صلى الله عليه و سلم فوقف مع شرع الله ولم يحكم غيره) اهـ [الاعتصام: 1/543ـ544ـ المكتبة الشاملة].

* * *

وبعد..

إنه عند التأمل في الفتنة الحاصلة من جرّاء تسلّط هؤلاء الحكام الكفرة الفجرة على المسلمين، يتبيّن بما لا يدع مجالا للشك، أن الأضرار والمفاسد المترتّبة على البقاء تحت حكمهم الجاهلي، وترك حبلهم على الغارب، هي أضعاف المفاسد المترتّبة على الخروج عليهم، فإفسادهم ـ قاتلهم الله ـ لدين المسلمين أشهر من أن يشار إليه، وقضية الخروج عليهم مهما كانت أضرارها ومفاسدها، فهي أهون بكثير من الأضرار والمفاسد الناجمة عن البقاء تحت شريعتهم الكافرة الفاجرة، وحكمهم الجائر اللعين، والواجب أن نَزِن ونقارن بين هذه المصالح والمفاسد بميزان الشرع المنضبط لا غير، يقول الشيخ أبو الحسن رشيد البليدي ـ رحمه الله تعالى ـ: (شُرع الجهاد لدفع المفاسد و جلب المصالح، وأعظم المفاسد الشرك، وأعظم المصالح وأنفعها التوحيد.. **والواجب تقدير المصالح والمفاسد وفق ميزان الشرع وضوابطه عند الإقدام أو الإحجام**) اهـ [وجوب الفصام وحتمية الصدام بين الكفر والإسلام / فصل: تنبيهات على خيار الجهاد].

وعند التأمل تدرك أن من يتهمونهم بالقصور ـ شباب الجهاد كما يحلو للبعض تسميتهم ـ رشداء، وفضل الله يؤتيه من يشاء.. والواقع هو ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله: (**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**) [التوبة/87] (اللهم لا شماتة) والحديث على وجه العموم، فلا أعني فردا بعينه.

7/ التفاتة..

حول حصول البلاء لسالكي طريق الحق..

ليعلم كل سالك لهذا الطريق بأن الابتلاء والمحن لم تسلم منه دعوة من الدعوات، فَفَتْح مكّة لم يتمّ بين عشية وضحاها، ولم يتم النصر في فترة ما بين الظهر والعصر، فالمحنة والابتلاء وطول الطريق لم يسلم منها حتى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث لما قال رسول الله ﷺ لورقة بن نوفل: «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ**؟ قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ) [البخاري]، وبانقسام الخلق إلى مؤمن وكافر انعقـدت العداوة بينهما، وهي مستمرة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ [الحج/19]، وبعد وقوع هذه العداوة كما في قوله تعال: ﴿**إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ [النساء/101]، ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة/217] ـ وغيرها من الآيات ـ حصل الابتلاء بين الفريقين، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾ [محمد/4]، وقال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [محمد/31]، وقال تعالى لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**» [مسلم]، قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه: (قوله سبحانه وتعالى: «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**» معناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حقّ جهاده، والصبر في الله تعالى وغير ذلك، وأبتلي بك من أرسلتك إليـهم، فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص إيمانه ويخلص في طاعاته، ومن يتخلف ويتأبّد بالعداوة والكفر، ومـن ينافق، والمراد أن من يمتحنه ليصير ذلك واقعا بارزا، فإن الله تعالى إنما يعاقب العباد على ما وقع منهم لا على ما يعلمه قبل وقـوعه، وإلا فهو سبحانه عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها وهذا نحو قوله: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ**﴾ [محمد/31]، أي نعلمهم فاعلين ذلك متصفين به» اهـ [صحيح مسلم بشرح النووي: 17/198 ـ المكتبة الشاملة].

يقول الشيخ أبو محمد المقدسي ـ حفظه الله تعالى ـ: (قليل هم أولئك الذين يدركون حقيقة منهج هذا الدين العظيم وحجم تكاليفه، فعندما خلق الله الجنة والنار وبعث جبريل ليراهما ورأى الجنة وما فيها من نعيم للوهلة الأولى قال: والله يا رب لم يسمع بها أحد قط إلا دخلها، فلما أن رآها بعد ذلك قد حفّت بالمكاره، قال: والله يا رب خشيت أن لا يدخلها أحد.

فالطريق الذي أراده الله أن يوصل إلى الجنة ليس مزروعا بالورود والرياحين.. كلا بل هو محفوف بالمكاره والابتلاءات والأذى والدِّماء.. ولو كان أحد يدخل الجنة دون سلوك هذه الطريق لكان أولى الناس به رسل الله وأنبياؤه الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه.. فقد أوذوا وشوِّهوا وكُذِّبوا.. فصبروا على ما كُذِّبوا حتى أتاهم نصر الله ولا مبدل لكلمات الله..

وهذه الحقيقة يعرفها كل عاقل درس منهج الأنبياء وتاريخ الدعوات.. ولذلك فأول كلمات سمعها رسول الله ﷺ بعد أن نبّئ من ورقة بن نوفل وكان قد قرأ الكتب السابقة كانت: «**لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي**».. فالذين يحلمون أن يكونوا من ورثة الأنبياء ثم يبحثون عن رضى الناس أو الحكومات لم يفقهوا حقيقة هذا المنهاج.. إن الأنبياء جاؤوا ليقلبوا أوضاع أقوامهم المنكوسة رأسا على عقب، لا لينخرطوا فيها ويرقّعوها بدعاوى الإصلاح فإن داء الشرك لا يصلحه إلا الاستئصال من الجذور.. ولذلك عودوا وأوذوا هم وأتباعهم..

ولو أن دعوة النبي ﷺ كانت دعوة إصلاحية مجردة لبعض مشكلات المجتمع وانخرط في برامج عمل لمحاربة الفقر والفساد والتخلف والتبعية!! وغير ذلك مما يدندن حوله دعاة العقلانية أصحاب الفكر المستنير، **دون أن يعلن براءته من المشركين وشركياتهم ودون أن يتميز ويقف هو ومن معه من المؤمنين في الصف المقابل والعدوة المفارقة لعدوة الكفار فيقول لهم** ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ*لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ..﴾ [الكافرون/1، 2] ، لما ناله ما ناله هو وأصحابه من الأذى، ولما احتاجوا إلى الهجرة والخروج من أحب بقاع الأرض إليهم.. ولبقوا في ديارهم وأوطانهم آمنين..) اهـ من مقال [لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي] وذكر بعدها قصة يحسن الاستئناس بها!.

ثم قال ـ حفظه الله تعالى ـ: (إن الكلمات التي قالها أسعد بن زرارة رضي الله عنه على حداثة سنه لقومه لا مخذِّلا ومثبِّطا؛ بل منبِّها لهم ومحرِّضا وهو ممسك بيد النبي ﷺ يحجزهم عن بيعته مخافة أن يكونوا لم يعوا بعد هذه الحقيقة؛ تنمّ عن فقه عميق لحقيقة هذا المنهاج: (يا أهل يثرب، إن إخراجه اليوم مفارقة للعرب كافة، أو قتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبيّنوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله) [رواه الإمام أحمد والبيهقي]، ويومها قال الصحابة لأسعد: (أمط يدك يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبدا)، ونحن نقول لهذا وأمثاله من الدعاة العصرانيين الذين يخجلون من إعلان حقيقة دينهم أو يحيدون عنها أو

يشوهونها أو يبرؤون منها ويميزون أنفسهم عن أصحاب هذا المنهاج طمعا في إرضاء أعداء هذا الدين ـ يشير إلى صاحب القصة التي أشرت إليها من قبل ـ نقولها رغم أننا وكثير من إخواننا أصحاب هذا المنهاج ملاحقون مطاردون يتخطفنا الناس، ونتلقى الضربات تلو الضربات: أَمِط عنا يا هذا، فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نسلبها أبدا..) اهـ [المصدر السابق].

ويقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني ـ حفظه الله تعالى ـ: (من قرأ سيرة الصحابة رضي عنهم في حروبهم وجهادهم رأى بكلِّ وضوحٍ أنَّ جهادهم للمرتدِّين وخاصَّة قتال بني حنيفة أتباع مسيلمة كان من أشق الحروب وأتعبِها عليهم فقد جهِدوا فيها جهداً عظيماً، وقال أهل السيرة أنَّ عدد من قُتِل من المسلمين يقارب الألف، وعدد قتلى بني حنيفة (10) آلاف نفس، وكان عددٌ كبيرٌ من القتلى هم من حملة القرآن، وكانت هذه المقتَلة سبباً في إقبال الصديق رضي الله عنه على جمع القرآن، ثمَّ من نظر في مسيرة التاريخ الإسلامي رأى أن حروب المسلمين لطوائف الزَّندقة كانت من أشدِّ البلاء على المسلمين، أشدّ من قتالهم للكفار الأصليين، ولو تمعَّنا في سبب هذا الخصوص في قتال المرتدين لرأينا أن الأمر يرجع إلى سببن اثنين، وبفهمهما تدرِك جماعات التوحيد والجهاد أن ما هم عليه من أمر **هو أمر خاص لا يقوى له إلاّ الرِّجال ولا يقوم له إلا من أخلص وجهه لله سبحانه وتعالى**..) اهـ [بين منهجين 91]..

ويقول ـ حفظه الله تعالى ـ: (إنّ خوف حصول البلاء معناه تَرْك سبيل الله، وإنّ سلوك سبيل الله معناه وقوع البلاء، أمّا أن تسلك سبيل الله ثمَّ تطلب حصول الأمان والرّضا والاستقرار فهذا لعمري في الحياة عجيب) اهـ [بين منهجين 94].

ويتساءل العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في نونيته المسمّاة (الكافية الشافية) فيقول:

قل لي متى سلم الرسول وصحبه ... والتابعون لهم على الإحسانِ
من جاهلٍ ومعاندٍ ومنافقٍ ... ومحارب بالبغي والطغيانِ؟
و تظن أنك وارث لهم وما ... ذُقت الأذى في نصرة الرحمنِ!
كلاّ و لا جاهدت حق جهاده ... في الله لا بيدٍ ولا بلسانِ

وفي هذا القدر غُنية إن شاء الله تعالى..

8/الرد على الداعين إلى ممارسة الدعوة دون جهاد، وبيان وجوب الإعداد حين حصول العجز:

1/بداية أود أن أنبّه على قضية الدعوة وأهميتها؛ وهل الجهاد إلا من الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت/33]، فالدعوة إلى الله تعالى لا تتنافى مع الجهاد أبدا؛ بل إن من بين أسباب إعلان القتال حماية الدعوة والوقوف في وجه من يقف في طريقها، وهي مشهورة ولولا خشية الإطالة لأوردتها هنا..

وقد نبّه الكثير من علماء الجهاد ودعاته وقادته على هذا في كتاباتهم وخطبهم وتوجيهاتهم..

فقد تُمارس الدعوة وتكون قرينة الجهاد ولا تعارض بينهما، يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني ـ حفظه الله تعالى ـ: (كثيراً ما يضع البعض أموراً متعدّدة بصورة متعارضة، وهي لا تعارض بينها أبداً، بل قد تكون مكمّلة له ومتمّمة لأمره، وذلك مثل قول بعضهم: هل الأولى طلب العلم أم الجهاد؟ وهذا سؤال خطأ، فإنّه لا تعارض بينهما، فالمسلم يجاهد ويتعلّم) اهـ [بين منهجين 25] وقِس على ذلك..

وهذا ما يقوم به المجاهدون من خلال إعلامهم ومؤلّفات علمائهم ودعاتهم ـ يجاهدون ويَدْعون ـ وقد بلغت دعوتهم ـ بفضل الله تعالى ـ مشارق الأرض ومغاربها، وسارت مسير الشمس في الأقطار، كما أنه قد تتكفل طائفة من المسلمين بالدعوة إلى الله تعالى، وأخرى ترابط على الثغور، ويدخل هذا التكاتف والتآزر في باب التعاون على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ [المائدة/2]، وهكذا كان الحال على عهد سلفنا الصالح رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة/122]..

يقول الشيخ أبو الحسن رشيد البليدي ـ رحمه الله تعالى ـ: (قولنا أنّ الجهاد في سبيل الله هو الطريق الوحيد للنصر و التمكين والاستخلاف، لا يستلزم منه ولا يفهم إهمال بقية الوسائل الشرعية الأخرى، **كالدعوة إلى الله** وتربية النفس وتزكيتها، والاهتمام بطلب العلم الشرعي تعلُّما وتعليما، والعمل على إيجاد الطليعة العريضة التي ترتفع إلى مستوى هذا الدّين.. وغير ذلك من الأمور الشرعية التي تعين على بناء التجمع الإسلامي السليم.. **وهي تدخل في معنى ومسمى الإعداد بمفهومه العام**) اهـ [وجوب الفصام وحتمية الصدام بين الكفر والإسلام/فصل: تنبيهات على خيار الجهاد].

فهذا الأمر ـ الجمع بين الدعوة والجهاد وممارسة الدعوة خلال الجهاد ـ هو من الوضوح بمكان، وهي مسلّمة من المسلّمات؛ ولكن المعاب حقا هو خلوّ ساحات الجهاد من العلماء والدعاة حيث لم تتحقق

الكفاية إلى اليوم!، ولم يجد أهل الجهاد من يفتيهم في النوازل الكثيرة والخطيرة، ويقوم بتوجيه المجاهدين وتعليمهم والأخذ على أيدي المخطئين والمنحرفين منهم، هذا وقادة الجهاد قد صرّحوا مرارا وصاحوا جهارا نهارا بهذا النقص، واستنصروا العلماء والدعاة وطلبوا منهم النفير واللحاق بساحات الجهاد ـ التي تجابه المحتل الصائل! ـ لشدة الحاجة إليهم، ولكنهم ـ إلا ما رحم ربي وقليل ما هم ممن حبسهم العذر ـ عاكفون ومتخلِّفون عن الواجب بأعذار واهية! إذا أمّلت النظر فيها ذابت كما تذوب الشمعة في وهج الشمس، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد/21]، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة/49].. وبعضهم قاعد ليعدّ ويحصي أخطاء المجاهدين، وأن فيهم وفيهم، وأنهم وأنهم.. وأظن ليجدوا المبرِّرات لأنفسهم للتولِّي يوم الزحف ـ دفع الصائل ـ وما درى هؤلاء أن هذا مما يزيد في تعيّن وتأكّد الواجب في حقهم! (واجب تعليم من ينتقصوهم من المجاهدين ويتهموهم بالجهل وسوء التربية).

وأما من فرح بأخطاء المجاهدين وأخذته نشوة بها ليبرهن على دعاويه وأنه صادق فيما حذر منه ونبَّه عليه، فمثل هذا يخشى عليه الوقوع والتلبس بخصال وصفات المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران/120]، نسأل الله العافية والسلامة.

2/لنسلِّم جدلا أن الحل الأنجع ـ مع ضعف الأمة وعدم قدرتها على تحمّل تكاليف الجهاد ـ هو الدعوة؛ فدعني أسأل:

هل نسي هؤلاء كيف واجه الطواغيت الدعاة إلى الله تعالى، وطُرق القمع والتنكيل التي مورست ضدهم؟!

هل ترك الطغاةُ الدعاةَ يمارسون الدعوة إلى الله بكل نشاط وحرية، أم كمّموا أفواههم، وفتحوا لهم أبواب السجون، وقَعْر الزنازين والمحتشدات التي أذاقوهم فيها كل أنواع وطرق البطش والتعذيب والتنكيل والإذلال؟!، فلماذا هذا النسيان العجيب، أو لماذا لا نعتبر هذا ونضعه في الحسبان؟! سبحان الله العظيم أفي كل يوم لا نعقل؟!.

وهذا أحد أسباب إعلان الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو الوقوف في وجه الدعوة ومحاربتها وصدِّ العلماء والدعاة عنها كما تقدمت الإشارة من قبل.

إن أعداء الدِّين لا يرضون عن ممارسة أية دعوة تشكِّل ضررا وخطرا عليهم، ومنها الدعوة إلى التوحيد والبراءة من الشرك والتنديد التي هي أصل دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وسيقفون ضد أي دعوة تهدف إلى إقامة دولة إسلامية تحكمها شريعة الله تعالى، ولذلك تجدهم يراقبون همس وأنفاس وتحركات العلماء والدعاة عبر أجهزة استخباراتهم والموالين لهم المسبحين بحمدهم من بعض أفراد الجماعات الخانعة المنبطحة على عتبات الحكام والسلاطين، ويقفون سدا منيعا في وجه أي مشروع إسلامي هادف يتجه نحو تحكيم الشريعة الإسلامية، بتوجيه ودَعْم من طواغيت الغرب وساسته، يقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (فالغرب الكافر لديه هدفان سيستميت في تحقيقهما، **(أولهما)** مَنْع إقامة دولة إسلامية في أي بقعة من بقاع الأرض، **(وثانيهما)** استمرار تدفّق خيرات بلاد المسلمين عليهم بلا انقطاع ولا نزاع، **وقد تكفّلت أنظمة الردة بتحقيق هذين الهدفين بكل وسيلة وحيلة**، فجوّعت شعوبها وأفقرتهم حتى تشبع شعوب الغرب وتستغني، وألقت إليها بالفتات مع المنّ والأذى، وتذكيرهم بفضلها عليهم ليلاً ونهاراً، **وسحقت كل محاولة لإقامة دولة إسلامية** ـ سواء **بطريقة سلمية** أم عسكرية ـ **ومزقت الدعاة لذلك كل ممزق**) اهـ [دفع الملام عن مجاهدي مغرب الإسلام].

وللداعين إلى ترك الجهاد وعدّ ذلك من المحن والمصائب التي يجب الرجوع عنها ـ عمل غير مشروع كما صرح الشيخ الكتاني عفا الله عنه وغيره ـ والاقتصار على الدعوة السِّلمية فحسب نقول:

إن من العلم الواجب بيانه في هذه الأزمنة توضيح كفر هؤلاء الطواغيت، وبيان حالهم وإظهار شريعة الجاهلية التي يحكمون بها للمسلمين، وقد تقدم الحديث عن هذا بما يغني عن الإعادة، **فهل يستطيع هؤلاء الدعاة بيان ذلك الواجب المتعين المتأكد وهم بين أحضان الطواغيت** (لأن بيان التوحيد والعقيدة يعادل حمل السلاح) إنْ قالوا نعم؛ نبيِّنه ونأخذ في مِثل هذه القضايا المهمة بالعزيمة وليكن ما يكون، قلنا: إذاً وقعتم في عين ما حذّرتم منه المجاهدين، وجعلتموه من بين الأسباب التي استدللتم بها على عدم مشروعية الجهاد (دخولهم ودخول الناس معهم إلى السجن مثلما يحصل في حالة الجهاد تماما) فالمآل واحد فتنبه!

والسؤال: هل سيتركون الدعوة إلى التوحيد لأجل هذا!.

إذاً فالطريق أمام الدعاة الذين يمارسون الدعوة الخالصة التي تبين كل أحكام الدين ومنها الدعوة إلى التوحيد، مسدود وغير مسموح ولا متاح إلا عن طريق الجهاد وفي ساحاته الرَّحبة التي يمارس الدعاة

دعوتهم فيها بكل نشاط وحرية، وبهذا تدرك عند التأمل أن الجهاد أكثر أثرا في نشر دعوة التوحيد ـ التي لا يقبلها الطواغيت ـ من غيره.

ثم إذا كان الأمر كذلك وسلّمنا لهم بهذا العجز الذي يدندنون حوله، والذي يمنع من الجهاد، إذ بوجوده لا يتحقق المقصود من الخروج وهو عذر في باب أداء التكاليف الشرعية، فإنه يجب حينئذ **العمل على الإعداد**، لقول الله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال/60]، وتأملوا **(القوة)** وليس مطلق التربية كما أصَّل لها البعض! والحمد لله هي مفسَّرة كما في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا «**ألا إنّ القوّة الرّمي**» [مسلم]، فمن سعى في الإعداد الإيماني ـ التربية والتعليم ـ واقتصر عليه فقط، وترك الإعداد المادِّي أو أَخّره وأجّله، فقد أَثِم لترك المأمور به كما في صريح آية [الأنفال] ﴿**وَأَعِدُّوا**﴾ المفسَّرة بـ: «**ألا إنّ القوّة الرّمي**»، فهل حال هؤلاء الدعاة كذلك؟ فلنتبين حال القوم مع هذه الشعيرة الربانية، وما موقفهم منها في وقت تعيّنت على جماهير المسلمين؛ إلا من له عذر شرعي شافع له.

أقول: **الواقع خير مُخبِر**، وأحسن معبّر عن حالهم!..

وفي بيان المراد ـ وجوب الإعداد عند العجز ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: (كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به **فهو واجب**) [مجموع الفتاوى: 28/259 ـ المكتبة الشاملة]، فما تعيَّن سبيلا لإقامة الواجب؛ أخذ حكمه كما هو مقرّر عند الفقهاء، فهل اعتبر المشايخ هذا وأخذوا به؟!.

يقول الشيخ أبو الحسن رشيد البليدي رحمه الله: (الجهاد في سبيل الله كبقية العبادات، يشترط له الاستطاعة، فإذا انتفت وتحقّق العجز رُفِع التكليف.. لكن لا ينبغي أن يُقعد هذا العجز المؤمن عن الإعداد للجهاد قدر استطاعته، **فالمؤمن إمّا أن يجاهد أو يعدّ للجهاد عدّته وقت سقوطه العجز**، فالميسور لا يسقط بالمعسور) اهـ [وجوب الفصام وحتمية الصدام بين الكفر والإسلام/فصل: تنبيهات على خيار الجهاد]، ويقول أيضا: (العجز يوجب الاستعداد؛ وإذا عجز المسلمون عن الجهاد وجب الاستعداد كما قال شيخ الإسلام: (كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، فليس العفو والصفح هو غاية المنى ونهاية خطوات هذا الدِّين، **بل على الأمّة المسلمة أن تمضي قُدما في تحسين ظروفها وفي إزالة العوائق من طريقها**، وعليهم أن لا يحمّلوا ضعفهم الحاضر على دين

الله القوي المتين) اهـ [المصدر السابق].

ويقول الشيخ أبو يحيى اللِّيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولا يسقط عنهم ـ يعني المسلمين ـ هذا الواجب ـ القتال ـ إلا شيء واحد، وهو العجز المحقق الذي يسقط معه التكليف الشرعي إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ومع ذلك - إن تحقق هذا العجزـ **فيجب الإعداد لذلك بكل ما أمكن وتحريض الناس عليه، وحثِّهم على الاستعداد له**، وتعريفهم بحقيقة حكامهم وأحكامهم..) اهـ [حد السنان لقتال حكومة وجيش باكستان].

فالإعداد إذاً لجهاد هؤلاء المرتدين ـ وغيرهم من الكفار الأصليين المعتدين ـ الذين يحاربون الدين بوسائل إفسادهم المتعددة صباح مساء؛ **هو من أوجب الواجبات على المسلمين اليوم**، فأين العلماء والدعاة من هذا الإعداد الذي نعتقد بأنه ليس نافلة من النوافل كما سبق بيانه؟! وهل حرّضوا المسلمين عليه لّما أفتوهم بعدم وجود القدرة على الجهاد اليوم؟!.

أخي القارئ: أدعوك بأن تتأمل مع حالهم ـ هداهم الله ـ لتدرك قيمة الإعداد الذي هم عليه للأسف الشديد، وتدرك قيمة الدِّين عندهم ـ وإنا لله وإنا إليه راجعون على ما آل حال الكثير منهم ونسأل الله العافية والسلامة..

يقول الإمام الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ عند شرحه لحديث النبيّ ﷺ «**من علم الرمي ثم تركه فليس منا**» [مسلم]: (وفي ذلك إشعار بأن من أدرك نوعا من أنواع القتال التي ينتفع بها في الجهاد في سبيل الله ثم تساهل في ذلك حتى تركه، كان آثما إثما شديدا، لأن تَرْك العناية بذلك **يدل على ترك العناية بأمر الجهاد، وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدِّين لكونه سنامه وبه قام**) اهـ [نيل الأوطار: 8 /163 ـ المكتبة الشاملة]، وتأمل جيدا قوله ـ رحمه الله تعالى ـ: (لأن ترك العناية بذلك يدل على ترك العناية بأمر الجهاد!، وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدين لكونه سنامه وبه قام!)، ويقال ذلك أيضا ـ ومن باب أولى ـ في ترك الإعداد للجهاد المتعيّن، فتركه وعدم الاشتغال به والتحريض عليه (يدل على ترك العناية بأمر الجهاد، وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدين لكونه سنامه وبه قام)!! ولا تنس فنحن في مقام دفع عدو صائل في عدة جبهات!!.

® **وهنا نقطة مهمة أرجو أن يعيها هؤلاء وهي:**

إن الكثير من الحرية التي حضي بها الدعاة اليوم، والكثير من النشاط الدعوي الذي يقومون به هم وأتباعهم وطلاّبهم، **هو ـ لعمر الله ـ من بركات الجهاد في سبيل الله** وأهله، فليس العكس كما يقولون (حوصرت الدعوة والتي كانت محاصرة قبل الجهاد أصلا!)، فالطواغيت ـ كما هو معلوم جدا ـ فسحوا المجال للكثير من الدعاة والحركات الإسلامية لأجل ضرب المشروع الجهادي ـ ضرب الإسلام المتطرف بالإسلام المعتدل كما يقولون ـ ولأجل سدِّ أيّ باب يؤدّي إلى حَمْل السلاح ضدهم، لأنهم رأوا ـ أعمى الله أبصارهم وشاهت وجوههم ـ أن من بين الأسباب التي جعلت الناس تلجأ إلى حمل السلاح، هو قمعهم وعدم تركهم ممارسة نشاطهم الدعوي بحرية، ومن حقهم عليكم أن تشكروا سعيهم ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ [الأعراف/85].

ثم لينظر المنصف بعد هذه الإطلالة السريعة مَن أكثر الناس أثرا وأشدهم تأثيرا في توصيل رسالة التوحيد الخالص إلى الناس، هل هم المجاهدون ودعاتهم، أم غيرهم؟!.

مع شكر المجاهدين لجهود الجميع..

مع وجوب التذكير بما يلي:

إن المجاهدين الصادقين ـ بفضل الله تعالى ـ لا يحقرون ويقلِّلون من شأن أي مسلم يقدّم لهذا الدِّين، سواء من الدعاة أو غيرهم، وإننا أمّة واحدة، وقد اجتمعت علينا الأمم الكافرة الفاجرة، يحاربون ديننا، ويريدون طمس هويتنا كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة، الآية/217]، وقد بلغوا في ذلك جهد الشياطين، فالواجب علينا جميعا أن نجتمع صفا واحدا لا صدع فيه، وأن لا نلغي أي جهد ـ قلّ أو كثر ـ في سبيل النهوض بالأمة وردِّ العاديات عنها، فهنا الحكمة وهذا هو الواجب، وفي مِثل هذا يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني ـ حفظه الله تعالى ـ: (وها نحن نرى اليوم أن من قدّم ماله في سبيل الله مُعرّض للإبتلاء أشد ممن هو آمن مع سلاحه مقاتلاً، والمواطن لها رجال، فمن جهالة البعض اختزال مواطن الجهاد في موطن واحد، بل العدل والعقل هو النظر إلى الحياة وما فيها من سبل وفجاج، وإكبار الناس الواقفين على ثغور هذه السبل والفجاج، فالمجاهد المقاتل ما كان له أن يقوم لولا إمام المسجد، وما كان له أن يقوم لولا من يعلّم طفله سورة الفاتحة والإخلاص، وما كان

له أن يقوم لولا من يحميه في ظهره بالدفاع عنه وعن عرضه بالبيان وسحر المقال، وها هي دول الشيطان تنفق الملايين لصرف الناس عن دينهم لا بالحرب فقط ولا بالسلاح فحسب، ولكن بإغواء الكلمة والصورة، فالقائم لهم أشد في نحورهم من رامي النبل كما قال الحبيب المصطفى ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وكما ينـزل الله الملائكة لنصر المجاهدين المقاتلين فهو ينـزلها كذلك لتلك المعاني كما قال البراء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لحسان: «**أهجهم وجبريل معك**»، والرَّكْب المجاهد في مسيرته مطلوب أن يعرف مقامات الناس وفضلهم في أماكنهم، «**فالساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل**» كما قال المصطفى من حديث صفوان، وغرور الناس في صنعتهم مفسدة للرَّكْب، وهي أشبه بدعوى الجاهلية، وحقيق أن يقال لمن تطاول على إخوانه بِنَسَب الصنعة أن يقال له كما يقال للمفتخر بِنَسب الآباء، ثم قد علم من فنون الحروب أن الجبهات المقاتلة لا تَسَع كل الناس، بل إن زاد أهلها عن الحدّ صاروا عبئاً على الناس، فبهذا يُعلم أن الحكمة هي وَضْع الشيء في موضعه.

ألا فليعلم أن مكشوف الظَّهر لا يدوم، ومهموم البال لا يصمد، والجائع لا يقوم، ومِن غير وقود يستحيل ما في النار رماداً لا يشتعل، فلابد للرَّكْب من كلمة حانية تنافح عنها، وحادٍ يدفع العيس حتى يقال له: «**رفقاً بالقوارير**»، وتاجر يؤمن جيش العسرة عثماني القلب والنفس، وصاروخ في الجيش خير من ألف فارس، وحكيمة كأم سلمة تقول لحبيبها إن دخل عليها مهموماً من تخلف الناس: (يا نبيّ الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك، وتدعو حالقك فيحلقك) فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

وهكذا تتوزع المهمات بحسب القدرات وما قدر الله فيها للخلق، كلٌّ يعلم أن ما هو فيه خير وأن غيره في خير كذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) اهـ [الأربعون الجياد لأهل التوحيد والجهاد] وفيها مقنع وكفاية في بيان المراد.

ويقول الشيخ المجاهد أبو الحسن رشيد ـ رحمه الله ـ تحت فصل [تنبيهات على خيار الجهاد من رسالته: وجوب الفصام وحتمية الصدام بين الكفر والإسلام]: (ممّا يدخل في مسعى الجهاد، الجهاد بالمال والبيان، فَرُبّ كلمة حقّ ينطق بها المؤمن في أجواء الجور والنفاق عند سلطان جائر كافر، تعدل ضرب السيوف.. ولكن أفضل الجهاد والمجاهدين كما قال سيّد المجاهدين وإمامهم ﷺ: «**أفضل الجهاد من عُقر جواده وأُهريق دمه**») **اهـ**.

وفي بيان ضرورة توحيد جهود الأمة واجتماعها ورص صفوفها، يقول الشيخ عبد الهادي المصري ـ رحمه الله تعالى ـ: (أما آن لأهل السنة والجماعة أن ينتبهوا لهذه الأخطار الماحقة في الداخل والخارج والتي تهدِّدهم في دنياهم وآخرتهم؟

أما آن لهم أن يتكتّلوا هم أيضا دفاعا ـ أولا ـ عن وجودهم وعقيدتهم ـ ثم هجوما ـ ثانيا ـ ضد تجمعات الجاهلية الشرسة.

أما آن لهم ـ أو لكثير منهم ـ أن يتخلّوا عن معاركهم الوهمية وخلافاتهم الجانبية الشكلية، وليفرغوا طاقاتهم ويركزوا جهودهم المشتركة ـ المادية والمعنوية ـ لمواجهة هذه التحديات التاريخية والمعارك الفاصلة الحقيقية والجذرية؟ أما آن لهم هذا؟: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الحديد: 16)) اهـ [معالم الانطلاقة الكبرى] وقد تأكد هذا الواجب اليوم أكثر من أيِّ وقت مضى!.

فالواجب أن تقوم الأمة صفا واحدا في وجه هذه العواصف الهوجاء والحرب الشعواء التي تستهدف دينها وقيمها وثوابتها، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة/2] ولا ينبغي التقليل من أي جهد وعمل يصبّ في هذا الهدف وهذا السبيل؛ أعني: (النهوض بالأمة وردّ العاديات عنها)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال/73].

9/ أسباب الانتكاسات وتراجع بعض الحركات الجهادية، وما العمل حين تحصل الأخطاء؟:

من خلال المطالعة والمتابعة ترى أن الكثير من الدعاة يكثر من الحديث عن بعض الإخفاقات والانتكاسات التي تحصل في صفوف المجاهدين وبعض الجماعات الجهادية، وفي الكثير من الأحيان يتحدثون بشيء من المبالغة، ولأجل ذلك جعلوا طريق الجهاد ليس بالسبيل الناجح أو ليس هذا أوانه، إذ أنه لم يتحقق من خلاله المبتغى والمراد.. ونحن بحاجة إلى التربية وطلب العلم.. إلخ التعليلات العليلة التي يذهبون إليها ويحتجّون بها لإثبات: (عدم مشروعية العمل المسلح ـ الجهاد ـ في بلاد المسلمين)، ونحن لا ننكر الأخطاء الواقعة التي حصلت لأهل الجهاد طيلة فترات جهادهم المبارك وإلى اليوم، كما أشار الشيخ الكتاني ـ وفقه الله تعالى ـ في رسالته: (تقويم المسيرة) وفي (تغريداته)، وكما أشار غيره أيضا ـ على خلاف في بعض الأحكام والتوصيفات ـ ولكن السؤال الذي ينبغي أن يُطرح هو: ماذا نفعل عند وجود الأخطاء والإخفاقات؟! وما الحل؟!.

هل نستسلم ونسلِّم أنفسنا للحكام المرتدّين بعد خوض كل هذه السنوات في جهادهم، ونرفع أيدينا ونقول لهم تُبْنا وعُدْنا لنكون أحلاس البيوت، فالجهاد ليس بمخرج وقد أخطأنا الطريق، ولا بد من الدعوة أولا.. إلخ أم ماذا؟!

إن الحل يكمن في **تقويم المسيرة الجهادية**، وممارسة عملية النقد الهادف البنّاء؛ مع **مواصلة الجهاد والبناء من خلال المعركة**، لا أن ننسحب بعيدا عن ميادينها لأجل ما لذلك من المخاطر المحفوفة بمن يترك الجهاد، حيث يألف رغد العيش والتشعب في دروبه (الركون إلى الدنيا)، وغير ذلك من العلل والمحاذير التي يضيق المقام بحصرها..

فهذا هو التقويم حقا ـ البناء من خلال المعركة ـ والنتائج بعد ذلك على الله سبحانه وتعالى فليس لنا ـ بعد الأخذ بالأسباب الكونية والشرعية ـ من الأمر شيء..

فالواجب علينا إذا فشلت تجربة أن ننظر في أسباب التقصير ومكامن الفشل لنصلحها؛ لا أن نغيِّر أحكام الشرع ونتحايل عليها، مثل إلغاء فريضة الجهاد ـ ونفس الأمر يقال عن الإعداد ـ من قاموس دعوتنا، وهو عين ما يقع فيه الكثير في مثل هذه الأيام، سواء اعترفوا أو لا، فلا جهاد ولا إعداد، بل ولا إمداد إلا بمثل هذه الفتاوى التي تشق صفوف المجاهدين، وتثني من عزائمهم: (عدم مشروعية العمل المسلح في بلاد المسلمين) شعروا أو لم يشعروا..

يقول الشيخ أبو محمد المقدسي ـ حفظه الله تعالى ـ: (فالواجب على المرجعيات الدينية والعلمية ورؤوس هذا التيار أن يعملوا على ترشيده وإنضاجه، وأن يقودوه ويأخذوا بيده إلى تحقيق الثأر الحقيقي والكامل لهذا الدين.. لا أن يقفوا في وجهه، أو يتصدوا له أملاً في إيقافه كما يحاول البعض جاهدا؛ فهذا لا شك من تحجيم الجهاد بل من وأده وقتله.. ولا أن ينجرفوا معه كيف شاء، يقودهم حماسه واندفاعه وسطحية بعض أفراده إلى بعثرة الجهود والأعمار والطاقات والأموال في أعمال مرجوحة أو غير مبرمجة ولا مدروسة.. ليغدوا المشايخ والعلماء مقودين منجرفين موجَّهِين لا مُوَجِّهين تابعين لا متبوعين.. بل إن أعظم ما يقدمه المشايخ والعلماء والدعاة الواعون في هذا الزمان ترشيد - لا إيقاف - هذا التيار بعد انطلاقه، وتوجيهه - لا تعطيله - بعد انفلاته، وتسديده إلى أسد الاختيارات وأنفعها وأصلحها وأحظاها للإسلام وأهله، وأكملها للثأر لدين الله بأشرق صوره؛ بالعمل الجاد لأجل التمكين لأمة الإسلام التي نهضت لاسترداد أمجادها

واستعادة فتوحاتها..) اهـ [وقفات مع ثمرات الجهاد].

ويقول الشيخ أبو الحسن رشيد البليدي ـ رحمه الله تعالى ـ: (فشل المجاهدين في موقعة من المواقع، أو مرحلة من المراحل لأسباب قد تكون من عند أنفسهم وسوء تقديرهم للأمور، وعدم أخذهم بالأسباب المطلوبة، لا يستلزم اعتبار خيار الجهاد في سبيل الله فاشل وباطل، كما لا يلزم استعداء المجاهدين والجهاد، فالجهاد الشرعي شيء وخطأ المجاهد شيء آخر، والبراء يكون من خطأ المجاهد وليس منه أو من جهاده؛ كما حصل مع خالد بن الوليد رضي الله عنه..والذي دعانا إلى هذا التنبيه أنّ كثيرا ممّن يُحسبون على العمل الإسلامي - أحزابا وجماعات وأفرادا أنهم يستعْدون الجهاد وينفّرون الناس عنه، متذرّعين بواقع وفشل بعض الجماعات والحركات الجهادية، أو بعض الأخطاء التي قد تكون عن غير قصد، والتي لابدّ أن يقع فيها المجاهد عندما ينزل إلى الواقع وميدان المعركة، وهذا عين الظلم والجور، ولكن لا يفهم منه الاستهانة أو التسامح بالأخطاء الناتجة عن أصول وعقائد فاسدة وأصول الخوارج الغلاة) اهـ [وجوب الفصام وحتمية الصدام بين الكفر والإسلام].

ويقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (الواجب إن وجدت علة تمنع الخروج على طواغيت الكفر والردة أن تتضافر الجهود لإزالة هذه العلة و لتستأنف قوافل الجهاد السير في الجهاد، هذا هو الحل ..**و ليس الحل لأدنى علة أو عقبة تعترضنا في الطريق نتخلى عن الجهاد و نرفع رايات الاستسلام و الركوع للطواغيت، ونعلن على الملأ فشل العمل بما أمر الله به من الخروج على أئمة الكفر و الطغيان، وأنه لا يأتي إلا بالمفاسد..**) اهـ [المصدر السابق].

ويقول في معرض رده على المطالبين بترك السلاح والدخول في قانون السلم والمصالحة بالجزائر: (زعمتم أنّ الجهاد وصل إلى طريق مسدود.

وعين الرِّضا عن كلّ عيب كليلةٌ   ولكنّ عين السُّخط تُبْدي المساويا

فها هي جماعاتكم و أحزابكم وجمعياتكم ودعواتكم مرَّت عليها عقود تِلْو عقود ولم تقم للإسلام دولة، والإسلام يتميّع في النفوس والأسر والمجتمعات؛ ووصلتم إلى طريق مسدود ومصدود، **فَلِم لا تراجعون أنفسكم وتغيِّروا مناهجكم؟..**

وها هو الطاغوت تتغير الحكومات تِلْو الحكومات، وبرامج تدفع برامج، والأمة من درك إلى درك أسفل منه، لِمَ لا تقولون عنها أنّها وصلت إلى طريق مسدود، وتطالبوها بالتخلِّي عن الحكم؟..

ليتكم كما طالبتمونا بوضع السلاح، طالبتم الطاغوت أن يتوب من شركه وظلمه، ويعود إلى حكم الله ورسوله ﷺ .. **ليتكم تعترفون أنّكم اليوم تتكلمون وتتقوّتون من تضحيات المجاهدين وثباتهم.. و ليتكم تعترفون أنّ من أسباب ما وصل إليه الجهاد خذلانكم للمجاهدين ووقوف بعضكم في عَدْوة المرتدِّين**، و لو قُدّر - لا قدّر الله - أن أُخمد الجهاد فستتجرّعون المرّ أضعافا مضاعفة.

وإذا السياسة لم تفوّض أمرهـا***للنّار كانت خدعـة و تصنّعـا

إنّي رأيت الكون يسجد خاشعا***للحقّ والرشاش إن نطقا معـا) اهـ [المصدر السابق].

—ومن لطيف ما يُستحضر هنا، هذه اللفتة الطيبة والفائدة النفيسة:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «**اسقه عسلا**» فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا، قال: «**اذهب فاسقه عسلا**»، فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال: يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقا، فقال رسول الله ﷺ : «**صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلا**» [البخاري ومسلم].

فنحن نرى هنا في هذه الحالة لما رجع الرجل إلى النبي ﷺ وشكاه قائلا: (يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقا)، أن النبي ﷺ لم يقل له غيِّر الدواء، وإنما أعاد عليه الأمر: «**اذهب فاسقه عسلا**» فدعاه لعلاج موضوعية التعامل مع هذا الدواء، وطريقة تعاطيه وحسن تقدير كميته، فمجرد وجود العسل لا يحقق الشفاء ولكن هناك كمية وطريقة سننية تحقق هذا التغيير (الشفاء) ينبغي أن تسلك، فالمشكلة في ذلك وليس في أصل العلاج (العسل)، (استفدت هذه من درس مناقشة كتاب "هكذا ظهر جيل صلاح الدين" من سلسلة شرح ألف كتاب قبل المات للشيخ أبي قتادة حفظه الله تعالى).

فما أصاب الأمة اليوم من أمراض منهكة مهلكة، مثل تسلُّط الكفرة عليها وحكمها بقوانين الجاهلية، والذل والقهر المضروب والمخيم عليها في جميع مناحي الحياة، هو بسبب تسليمها القياد لهؤلاء الحكام الكفرة الخونة العملاء، وتركها للجهاد في سبيل الله هو ترك للدواء الذي يجب تناوله لتنال الشفاء من تلك الأوجاع والأمراض، وهو عين ما أرشد إليه من لا ينطق عن الهوى ﷺ حيث يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**» [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني]، فالدواء الذي يجب تناوله هو: «**حتى**

ترجعوا إلى دينكم» وهو: الجهاد، إذاً، فعندما تحصل لنا الإخفاقات والهزائم، لا ينبغي لنا التراجع عما جعله النبي ﷺ سببا في حياة الأمة وانتعاشها ـ الجهاد/الدواء ـ وإنما يجب علينا أن ننظر في مكامن الخلل أين هي لنعالجها لا أن نغيِّر ما جعله الشارع سببا في عزِّنا وسؤددنا، والذي وصفه ﷺ كما في حديث معاذ رضي الله عنه بأنه (ذروة سنام الإسلام)، وما لم ينجح في هذه الجولة؛ ينجح في الثانية، أو الثالثة، أو العاشرة، أو الألف.. «**اذهب فاسقه عسلا**» (راجع ما تقدم حوله)، وسنبقى نجاهد ـ بحول الله تعالى وقوته وفضله ومنّته ـ حتى النهاية، وحتى يحكم الله بيننا وبين أعدائنا بالحق وهو خير الحاكمين..

وبما أننا نتحدث عن الإخفاقات والانتكاسات والأخطاء التي تُرفع في وجه المجاهدين ومشايخهم وكل من سلك طريق الجهاد في كل مرة، فَمِن الحزم وسداد الرأي ونحن نتناقش في قضايا الأمة، أن نبين طرق العلاج والخروج من هذه الإخفاقات لتسعد الأمة ونسعد نحن معها، وعليه أقول وبالله التوفيق (وتأمل):

ليُعْلم علم اليقين أن مِن أعظم أسباب هذه الانتكاسات والإخفاقات الحاصلة للجماعات الجهادية خلال مسيرتها الجهادية الطويلة، تتمثل في عدم جهاد العلماء والدعاة، وتركهم للجهاد المتعين عليهم، وأعتقد ـ ولا زلت ـ أن هذا أُسّها ورأسها، حيث خَلَت الساحات الجهادية منهم ـ حتى في الساحات التي داهمها العدو الصائل المحتل الذي لا نختلف في حكم دفعه! ـ فتصدّر الكثير من الجهال، وتقدم آخرون ولم يبلغوا الأهلية بحكم الضرورة كما تقدمت الإشارة إلى هذا في مقدمة الرسالة، ثم ومع ضَعْف الإرشاد والتوجيه حصلت الكثير من الأخطاء التي بإمكاننا تفاديها في حال وجود أهل العلم بين أظهرنا، ولولا خشية أن يطول المقام لسردت الأخطاء والمصائب واحدة واحدة، وربطتها ربطا مباشرا بذلك ـ وهو أيسر من شربة ماء ـ ولست مبالغا لو قلت بأنه يكاد يحصل إجماع على هذا من قِبل أهل الجهاد وقادته، ومَن خالف في هذا فقد شذّ وكابر في دَفْع الحقائق التي تفقأ العين!! فماذا تقولون بعد هذا؟!

وبما أن الشيخ الكتاني ـ أخذ الله بيده إلى الخير ـ قال في خاتمة "تغريداته": (فهذا ما ظهر لي بعد دراسة في التاريخ ونظر في الواقع على ضوء النصوص الشرعية وبعد عن حماسة الشباب غير المنضبطة بالتروي والنظر في عواقب الأمور و مآلاتها.

أما مقارعة العدو المحتل أو الانضمام لثورة شعبية عارمة فالأمر يختلف كثيرا والله الموفق)اهـ، أود أن أنبه على ما يلي:

لا أتطرق ـ حتى لا يطول المقام ـ إلى مسألة أن هؤلاء المرتدين في حكم العدو الأجنبي ـ صائل ـ وأن قتالهم مقدّم على غيرهم ـ بنص الفقهاء ـ ولا أتطرق إلى فضيلة قتال المرتدين كما بينها أهل العلم، وأن العدو الداخلي والخارجي وجهان لعملة واحدة، وهذا التفريق إما غفلة من هؤلاء الدعاء أو تغافل أو استغفال.. أو سمِّه ما شئت، ولكن بما أن الشيخ الكتاني اشترط ـ بناء على عواقب الأمر كما ذكر ـ أن يكون القتال والمقارعة للعدو المحتل بخلاف غيره، أو يكون عن طريق (الانضمام لثورة شعبية)، وبهذه الطريقة وعلى تلك الحال فالأمر يختلف عن جهاد (الحركات الجهادية) التي يرى عدم مشروعية جهادها، أعقِّب بما يلي:

أولا: أليس انطلاق الجهاد الجزائري كان كذلك (انتفاضة شعبية)؟! فعلام اللوم؟..

فرجوعا إلى الوراء، وهلم نقلِّب صفحات التاريخ لنثبت ذلك..

اعلم أنه بعد فوز "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" فوزا ساحقا في الجولة الأولى في انتخابات 26 ديسمبر 1991م ـ مع عدم قناعتنا بمثل هذه السبل المنحرفة! ـ تَمَّ إلغاء المسار الانتخابي عبر انقلاب عسكري، تم بموجبه عزل الرئيس الجزائري آنذاك (الشاذلي بن جديد) والزجّ بكثير من أنصار الجبهة وكوادرها في السجون والمعتقلات والمحتشدات، وكان من بين تلك المحتشدات الرهيبة، محتشد «رقان» في أقصى جنوب الصحراء الجزائرية، وهي المنطقة التي أجرت فيها فرنسا تجاربها النووية المعروفة (بعملية اليربوع)، والتي تعدّت في قوتها التدميرية (قنبلة هيروشيما) بأربع مرات كما أشارت بعض الدراسات والتقارير، فتمّ وضع أكثر من (25ألف) معتقل بريء في هذه المحتشدات بالغة الخطورة؛ حيث لا تزال آثار الاشعاعات النووية إلى حد اليوم.. مما أدى إلى وفات حوالي (180 معتقلا) بسبب تعرّضهم المكثّف لهذه الإشعاعات، كما أصيب مئات آخرون بأمراض لها علاقة بهذه الإشعاعات.

وبعد تولي الهالك «رضا مالك» رئاسة الحكومة سنة 1993م، أصدر قرارا عبر مقولته الشهيرة: (لابد على الخوف أن يغير معسكره)، وصدق الله: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة/217]، وبعدها مباشرة، بدأت حملة تصفيات ميدانية دون محاكمة، وخلالها تم قتل أزيد من (26 ألف بريء!!)، وهو ما صار يعرف بملف «المفقودين»، والسلطة الحاكمة إلى اليوم اعترفت بجريمة قتل أزيد من(5000 بريء فقط!) وعرضت شراء سكوت أهاليهم مقابل دفع مبالغ مالية.. غير أن معظم الأهالي يطالبون بكشف الحقيقة، ومعرفة مصير وقبور أبنائهم، ويطالبون بالعدالة.. إلخ..

فلأجل هذا وغيره، ثار الكثير من الشباب الجزائري دفعا للصائل وردا للعدوان على نفسه، وكثير منهم رفض أن يسوقه زبانية النظام المجرم كالخراف إلى حتفه..فأعلنوا الجهاد مع ـ موجبات أخرى لإعلانه ـ هذا مع دعم جمهور كبير من المسلمين لهم وقد شهد القاصي والداني والمحب والشاني بذلك، فكيف يلام هؤلاء وماذا يراد منهم؟!.

أليس هذا جهادا شعبيا كما يراد له ويرضى عنه من يشترط حركة الشعوب حتى يكون الجهاد في نظرهم مقبولا مرضيا عنه؟!.

هذا؛ وخلال انطلاق مسيرته الأولى كان المجاهدون يتواصلون مع الدعاة والعلماء يطلبون نصحهم وتوجيههم واللحاق بهم، وممن أعلن ذلك أيضا من خارج الجزائر الشيخ الفاضل أبو مصعب السوري ـ رحمه الله تعالى حيا وميتا ـ حيث أقام محاضرة بعنوان: (صرخة حق من أجل الجهاد المبارك في الجزائر)، ومما ذكره فيها **نداء إلى العلماء والدعاة وقادة الحركات الإسلامية** بأن يناصروهم ويوجّهوهم ويأخذوا على أيدي المنحرفين منهم.. إلخ ما ذكره، لكي تسير الجماعة المجاهدة على بينة من أمرها، وألا تنزلق إلى الانحراف عن سواء الصراط؛ فيا ترى.. هل استجاب العلماء والدعاة لمثل هذه الدعوات والنِّداءات؟! الساحة تجيب والواقع خير مفصح، ونسأل الله أن يهدي الجميع..

ثانيا: بما أنه طرأ حكم الكفر على هؤلاء الحكام، فإنه واجب على المسلمين خلعهم، ومنابذتهم بالسيف، وإذا تعيّنت طريقة مّا لخلعهم فإنه يتعين سلوكها، **فما تعيَّن سبيلا لإقامة الواجب أخذ حكمه**، وإذا كنا بإمكاننا تحقيق ذلك عن طريق (الثورات الشعبية) فيصير العمل على تفعيلها في حكم الإعداد الواجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فعلى العلماء إذاً السعي الحثيث في ذلك، وتحريض الأمة عليه، وأعتقد جازمًا أنهم لو انتفضوا في وجه الحكام المرتدين، وقاموا قومة رجل واحد لقامت الأمة مِن خلفهم ـ بإذن الله تعالى ـ، فالأمة التي قامت خلف (رجل أضرم النار في جسمه!) تقوم من باب أولى أذا أضرم العلماء والدعاة ـ وهم ألوف ـ النار في دنياهم ـ سبب بلاء الكثير ـ وركلوها بأرجلهم وبذلوها في سبيل إعزاز دينهم الذي جعله الحكام خلفهم ظهريا، وفي سبيل إعزاز أمة نبيِّهم ﷺ التي أذلّها وأضلّها الطغاة عليهم لعائن الله تترا.. نعم والله ـ غير حانث ـ ستقوم الأمة خلف العلماء والدعاة ـ بإذن الله تعالى ـ لأن قعودهم حجة الجهال والعوام، بل والكثير ممن ينتسب إلى العلم!

وعليه؛ فها أنا أقدِّم لكم ـ ونيابة عن إخواني المجاهدين ـ هذه الدعوة الطيبة المباركة إن شاء الله تعالى فأقول:

جرِّبوا والتحقوا بساحات الجهاد، ووفِّروا علينا الجهد في تفادي تلك المصائب والإخفاقات والخسائر التي أشرنا إليها وأكثرتم الحديث عنها، ونتفادى مثل هذه المنازلات البيانية ـ النقاشات ـ وسترون كيف تثور الأمة ـ كل الأمة ـ خلفكم، وكيف ستقتدي بكم، فبعضكم يحرِّك بخطبه الحماسية نصف الكرة الأرضية، والبعض الآخر يحرّك نصفها الآخر!، وسترون كيف تنضبط مسيرة الجهاد ـ بإذن الله تعالى ـ وترون علوّ همم المجاهدين، وتحسّن تربيتهم وأخلاقهم عندما يجدون أهل العلم بين أظهرهم، وترون كيف سترتعد فرائص الكفرة لأجل ذلك، وترون كيف نُنصر بالرعب مسيرة شهر ـ بإذن الله تعالى ـ ووالله إنكم سترون كيف يفديكم أهل الجهاد بدمائهم وأرواحهم ـ فحرمة أهل العلم ليست كغيرهم من الناس ـ وتدركون جيدا مدى محبتهم لأهل العلم، وسترون.. وسترون.. وسترون (ردِّدوا وسترون ألف مرة ولا تملّوا)..

إذاً معاشر العلماء والدعاة اسمحوا لي أقول: لماذا حرمتمونا وحرمتم الأمة من هذا الخير العميم، والفضل الجسيم؟ والله إن الأمر كذلك، وأقول: **<u>حرام عليكم وكفى</u>!!**

ولازلت أدعو ـ بإذن الله تعالى ـ في كل مناسبة إلى فتح المجال إلى هذا النقد، وأن تُوجَّه سهامه إلى مَن عنيت ـ العلماء والدعاة وطلبة العلم ـ فهم أولى بالنقد من غيرهم، فقد ارتكبوا جرما في حق الأمة والجهاد وأهله (واعذرونا على الصراحة ويعلم الله تعالى محبتي للعلم وأهله جعل الله أرواحنا فداهم) ولا بارك الله في علماء السوء ودعاة السلاطين ـ إخوان الشياطين ـ فليسوا المعنيين، نعوذ بالله منهم ولا كرامة!.

وبمناسبة المقام أسوق هذه (وهو سهم استللته من كنانة دعاة المجاهدين):

يقول الشيخ الأستاذ محمد ياسر تقبله الله في الشهداء ـ بعد سؤال وجِّه له في حوار مع "مؤسسة السحاب" ـ ما هي نصيحتكم للعلماء والدعاة؟؛ قال:(فأنا أنصح الإخوة ـ إخواني وأساتذتي الذين هم أكبر منّي عمرًا وعِلمًا ـ أنصحهم أن يكونوا على ما يقتضي الحق والعلم، ولا يخافوا في الله لومة لائم، والشهادة خير من الحياة الدنيا، والموت يأتيهم على كل حال؛ إمّا أن يُقتَلوا بيد الباطل ويكونوا شهداء، أو تقتلهم ملائكة الله تعالى؛ النتيجة واحدة ولكن الموت بالشهادة لا ينالونه بهذا الطريق؛ انظر إلى العار الذي لحق بهم ـ هؤلاء العلماء ـ من خلال مواقفهم المخزية، حتى الأمريكان يسخرون منهم ويضحكون عليهم..

فقلت لهؤلاء العلماء: نحن الآن نملك جيل استشهاديين من الشباب فإذا كان الشاب المجاهد الذي لا يملك العلم يضحّي بنفسه ويفجّر نفسه لأجل مصلحة الدين؛ فلماذا العالم لا يقبل الشهادة لأجل كلمة الحق، وينال درجة سيّد الشهداء؟

أنا أقترح أن يكون هناك فئة من العلماء والدعاة يكونوا استشهاديين في مجال الدعوة والإعلام ـ لقولهم الحق ـ فأنا الآن في موقفي هذا معرّض للقتل معرّض للاغتيال معرّض للسجن مرّة ثانية وأنا أقبله وأعتبره شهادة لي، والشهادة خير من حياة الذلّ..) اهـ [لقاء مؤسسة السحاب مع الأستاذ محمد ياسر تقبله الله في الشهداء].

وقبل مغادرة هذه النقطة، أعقِّب على ما ذكره الشيخ الكتاني ـ عفا الله عنه ـ حول الحماسة التي أشار إليها حيث قال كما تقدم أعلاه: (فهذا ما ظهر لي بعد دراسة في التاريخ، ونظر في الواقع على ضوء النصوص الشرعية، [وبعيدا] عن حماسة الشباب غير المنضبطة بالتروي والنظر في عواقب الأمور و مآلاتها) اهـ.

أقول: عفا الله عنك يا شيخ، إنْ تكلمت عن حماسة الشباب خلال الممارسات الميدانية فنعم، ولكن حديثك هنا عن أصل جهادهم (والسياق محكم)، فهل جميع قيادات الجهاد وعلمائه ودعاته أهل حماسة، وليسوا من أهل الحكمة والتروي.. إلخ؟

وهل من هم منخرطون في هذه الجماعات الجهادية كلهم شباب أهل حماسة؟ فهل هذا من التروِّي الذي تتحدث عنه فضيلة الشيخ؟.

وقبل أن أغادر هذه النقطة رأيت أن من سداد الرأي ومن المفيد جدا والمهم جدا جدا؛ أن أذكِّر في هذا المقام بما يلي..

10/ الحصاد الإيجابي وإنجازات التيار الجهادي في أربعين عاماً مضت من كتاب (المقاومة الإسلامية العالمية):

يقول الشيخ أبو مصعب السوري ـ رحمه الله تعالى حيا وميتا ـ: (على مدى أربعين سنة من تراكم الجهود والبذل والعطاء، لمختلف الجماعات والتنظيمات والأفراد في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، **أنجز الجهاديون إنجازات عظيمة، وحققوا انتصارات كثيرة تُسجَّل في سجلِّهم المشرف**، وإن كانوا قد فشلوا في الوصول إلى الأهداف النهائية التي وضعوها لأنفسهم كما أسلفنا، **ويمكن تصنيف هذه الإنجازات في المناحي التالية:**

1ـ الإنجازات الفكرية والمنهجية:

فقد استطاع التيار الجهادي عبر علمائه وقادته ومفكّريه، وعبر مجموع الجهود الأدبية والإعلامية المختلفة، **أن يقدِّموا التيار الجهادي كمدرسة رئيسية ومتميزة في الصحوة الإسلامية المعاصرة**، وتمكّنوا من تحديد ملامح منهجها، عبر الكتب والمؤلفات والمحاضرات، وأن يخطّوا بمداد أولئك العلماء والمفكرين والقادة معالم الطريق للسائرين خلفهم على ذلك الدرب المنير، وقد أضفت دماء آلاف الشهداء ممن قدّموا أرواحهم في سبيل الله في مختلف الميادين على تلك الأفكار وذلك المنهج حياة، وجعلوا لها نماذج وقدوة يستلهمها السائرون إلى مرضاة الله على طريقتهم.

2ـ الإنجازات الدعوية والجمهور:

وبفضل الله أولاً، ثم بفضل تلك التجارب، وما قدّم الشهداء والصابرون في سبيل الله على ذلك الدرب، وما لعبه التراث الفكري والجهود الإعلامية والدعوية للجهاديين على مختلف الأصعدة، وعلى مدى تلك العقود الأربعة الماضية، صار للجهاديين جمهور متميّز في الأمة عامة، وفي الصحوة خاصة، **وصارت عطاءاتهم مثلاً ونبراساً لكل المسارعين الآيبين إلى ربهم من جموع هذه الأمة.**

3 - الإنجازات العسكرية:

وهي الجانب البارز والملموس من إنجازات الجهاديين، فقد استطاع المجاهدون في سبيل الله في هذا الزمان سواءً من الجهاديين من التيار الجهادي، أومن مختلف مكوّنات الظاهرة الجهادية من المجاهدين لأعداء الله الخارجين والمحليِّين، وعلى مختلف الأصعدة الجماعية والفردية، استطاعوا أن يكتبوا بدمائهم وبعناء أسراهم والمشرّدين في سبيل الله منهم، **أن يقدِّموا إنجازات لا يستهان بها في المجال العسكري.**

فقد قدّمت بعض التجارب نموذجاً للثورات المستمرة الطويلة المدى، كتلك التي حصلت في سوريا والجزائر وطاجيكستان.. وقدّموا نماذج لمواجهات نوعية، **واستطاعوا أن يطيحوا بالعديد من رؤوس الكفر ومرتكزات الأعداء..**

فقد تمكن المجاهدون **من إعدام الكثير من أعداء الله من الطواغيت**، كان فهم الرؤساء والوزراء وكبار أعوان الطواغيت وصغارهم، **واستطاع جند الله المجاهدون أن يردّوا صاع العدوان بما يكافئوه في بلدان عديدة..**

كما استطاع الجهاديون أن يلعبوا دوراً هاماً في مواجهة الهجمة الصليبية المعاصرة على المسلمين في عدد من

القضايا، كان من أهمها الدور الذي لعبوه في الجهاد في كل ساحات المواجهات المفتوحة مع الأعداء الخارجيين، من الفلبين إلى إندونيسيا إلى كشمير إلى إريتريا إلى الصومال.. إلى العراق حاليا؛ وكان من أبرزها وأهمها ما قدمه الجهاديون من مشاركتهم الظافرة في الجهاد في الشيشان ضد الملاحدة الروس، حيث ما تزال المعركة مستمرة، وكذلك بلاؤهم الحسن في البوسنة ضد الصليبيين الصرب والكروات المدعومين من مختلف القوى الصليبية العالمية، حيث تمكنوا من إجهاض مشروع الإبادة الذي استهدف المسلمين هناك.

ولكن نجاحهم الأكبر كان في المشاركة في الجهاد في ساحة أفغانستان حيث استطاعوا أن يطيحوا بنظام حكم شيوعي دموي عميل، ثم أن يطيحوا تبعاً لذلك بالدولة العظمى الكبرى (الإتحاد السوفيتي)، و يفككوا أوصالها ويطووا علمها، ويجعلوها أثراً بعد عين.. حيث أسفرت تلك الجهود عن ولادة نواة لدار الإسلام من جديد، بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان، وتنصيب أمير للمؤمنين، رغم كل محاولات المنع والإجهاض، حيث قدمت الإمارة وأميرها على مدى 6سنين نموذجاً للحكم بالشريعة رغم أنف النظام العالمي الجديد، ونموذجاً للحصن الذي يمتنع به المؤمنون ويعيشون حياتهم وفق قواعد دينهم وأوامر ربهم.. **ثم ما كان من النموذج الفذّ الذي افتتح به المجاهدون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا المزعوم.. بنقل المواجهة إلى عقر قلبها النابض.**

ثم كان صمود المجاهدين الأبطال من الأفغان العرب في معارك أفغانستان وساحات المواجهة المفتوحة مع القوى العظمى وأتباعها عبر العالم، فيما أسموه بالحرب العالمية على الإرهاب.

وهاهم المجاهدون ثم ما تبع ذلك اليوم يتابعون في ساحات المواجهة مع الصليبين وأعوانهم في أكثر من مجال.. وهاهي ساحة الجهاد في العراق مستعرة، وبوارق الأمل في أكثر من مكان قادمة.. وإن غداً لناظرة قريب..

وسيستمر العطاء والإنجازات العسكرية الجهادية، حتى يتحقق موعود الله لهذه الأمة بالظفر والتمكين، ورفع رايات هذا الدين إن شاء الله تعالى.

وقد حفل ذلك المسار الطويل من المواجهات عبر ما يزيد على أربعين سنة، بآلاف المعارك والمواجهات، التي أثبت فيها أولئك الأبطال لأعداء الله من الداخل والخارج، **أنه ورغم مرحلة الانحطاط التي يعيشها عموم المسلمين، إلا أن معجزة رسول الله ﷺ وإخباره بأنه ما تزال عصابة من أمته ظاهرين على الحق، لا**

يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، هي معجزة مستمرة، وما تزال متحققة، ولها رجالها حتى في أسود مراحل تاريخ هذه الأمة، ولو عرف الجهاديون كما ينبغي قدر تراثهم وقيمة تاريخهم وتجاربهم، وشمّر القادرون فيهم عن ساعد الجد لكتابة ذلك التراث المجيد، لخلّفوا لهذه الأمة تراثاً مجيداً زاخراً بتاريخ التجارب، وعِبر الدروس، وقصص الأبطال الميامين، ونماذج الشهداء الربانيين والمجاهدين الصابرين.. ولكن وللأسف لقد طوت الأيام تلك الصحف، واندثرت عبر الأيام كثير من القصص الرائعة والنماذج الفريدة، فرحم الله أصحابها و أجزل لهم المثوبة.. وكما قال عمر رضي الله عنه عندما سأل عن شهداء الفتوح فقصُّوا عليه قصص من عرفوا، ثم قالوا وآخرين لم يعرفهم أحد، فقال رضي الله عنه ما ضرّهم أن لم يعرفهم الناس إذ عرفهم الله تعالى.

4ـ الإنجازات السياسية:

رغم أن الهدف النهائي الذي رفعه الجهاديون وهو إسقاط أنظمة الجاهلية وإقامة النظام الإسلامي على أنقاضها لم يتحقق في كافة الساحات التي عملوا بها كافةً، ولكن وعلى طريق ذلك الهدف وإلى جانب تلك المسارات، **حقق الجهاديون إنجازات سياسية كثيرة**، من أهمها:

ـ تهديد مشاريع أنظمة الحكم الجاهلية، وكشف بطلانها ونزع الشرعية عنها.

ـ فضح مشاريع التطبيع مع اليهود والغرب الذي سعت فيه الأنظمة التي همّت بذلك، ولاسيما مشاريع التغريب ونشر الإسلام على الطريقة الصليبية.

ـ كذلك استطاع الجهاديون مواجهة انحرافات الصحوة منهجياً وعملياً وإعلامياً.

ـ واستطاعوا بفضل الله، الإثبات للغزاة المحتلين، أن الأمة رغم انهيارها ليست لقمة سائغة، ومن الإنجازات السياسية التي تتضافر نتائجها مع الوقت حتى توافق قدر الله تعالى في قيام المؤهلين لتحقيق الإنجاز الأكبر في إقامة نواة دار الإسلام الزائلة و الدفاع عنها وتوسيع رفقتها حتى تقوم الخلافة الراشدة الموعودة التي بشّر بها رسول الله ﷺ ، وهي لا شك ولا ريب قائمة و آتية وعبر الجهاد ولا شك، وليس عبر الحوار والمنتديات الإلكترونية ولا المعارك البرلمانية، فإن الجد لا يولد من العبث، والحق لا يولد من الضلال، والفضيلة لا تتأتى عن طرق الرذيلة، وصدق رسول الله ﷺ : «**بُعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الصغار والذّلّة على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم**») اهـ [المقاومة الإسلامية العالمية].

هذا؛ مع ضرورة التنبيه على أن ما ذَكَره الشيخ أبو مصعب ـ رحمه الله حيا وميتا ـ كان قبل ما يزيد على عشر سنوات، وقد تقدم المجاهدون اليوم بفضل الله تقدما ملحوظا، وقفزوا قفزات نوعية جبارة، والمعركة مع أعدائهم لا تزال مستمرة مستعرة، وهم في انتظار الفتح وتحقيق الوعود الإلهية لهم بالنصر، كما دلت على ذلك الأخبار والآثار: ﴿**وَعَدَ اللهُّ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور:55]، وغيرها وغيرها..

وأضيف إلى ما ذكره الشيخ أبو مصعب ـ على الرغم أنه أشار إلى ذلك على وجه العموم ـ **فأقول وبالله التوفيق:**

لقد صارت الأمة الإسلامية إلى حالة سيئة يرثى لها بسبب تركها الجهاد وجَعْله منهاج حياة لها، وصار هذا الفرض وكأن رسمه قد مُسخ، وحكمه قد نُسخ، وصارت حالته كما قال الإمام ابن النحاس ـ رحمه الله تعالى ـ عند ذِكره لسبب تأليف كتابه الماتع (مشارع الأشواق) حيث قال: (ولما رأيت الجهاد في هذا الزمان قد درست آثاره فلا ترى، وطمست أنواره بين الورى، وأعتم ليله بعد أن كان مقمرا، وأظلم نهاره بعد أن كان نيِّرا، وذوى غصنه بعد أن كان مورقا، وانطفأ حسنه بعد أن كان مشرقا، وقفلت أبوابه فلا تطرق، وأهملت أسبابه فلا ترمق، وصفنت خيوله فلا تركض، وصمتت طبوله فلا تنبض، وربضت أسوده فلا تنهض، **وامتدت أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تقبض**، وأغمدت السيوف من أعداء الدين، **إخلادا إلى حضيض الدعة والأمان**، وخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان، وآمت عروس الشهادة إذ عدمت الخاطبين، <u>**وأهمل الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مخاطَبين**</u>، فلا نجد إلا من طوى بساط نشاطه عنه، **أو اثاقل إلى نعيم الدنيا الزائل رغبة منه**، أو تركه جزعا من القتل وهلعا، أو أعرض عنه شحا على الإنفاق وطمعا، أو جهل ما فيه من الثواب الجزيل، **أو رضي بالحياة الدنيا من الآخرة، وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.**

أحببت أن أوقظ الهمم الرُّقَّد، وأنهض العزم المقعد، وألين الأسرار الجامدة، وأبين الأنوار الخامدة، بمؤلف أجمعه في فضل أنواع الجهاد والحض عليه، وما أعد الله لأهله من جزيل الثواب عنده وجميل المآب لديه، وما ادخر لعباده المرابطين والشهداء، وما وعدهم به من الكرامة في جنته دار السعداء، فاستخرت الله

سبحانه وألقيت إليه مقاليد الإذعان، وبرأت إليه من الحول والقوة وما يعتري الإنسان من النسيان) اهـ كلامه.

أقول: لقد برهن وأحيا المجاهدون وحققوا ما ذكره الإمام ابن النحاس بأفعالهم! **وهذا من أعظم ثمرات جهادهم**، وما أرى ابن النحاس لو يبعث فينا إلا مجددا نشاطه لكتابة صفحات أخرى يسجّل فيها انتصاراتهم وكراماتهم وبطولاتهم وتضحياتهم التي أحيت الأمة وبعثت فيها ـ بفضل الله ـ روح الجهاد والاستشهاد من جديد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبؤسا لأمة لا تعرف قدر رجالها الذين أوقفوا أنفسهم وبذلوا أرواحهم وزهرة شبابهم لأجل كرامتها واسترداد عزِّها ومجدها!..

نعم؛ لقد أحيا المجاهدون بفعالهم وتضحياتهم وبطولاتهم النادرة جدا فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى، الذي سَرت وانبعثت روحه في الأمة من جديد بعد أن كان نسيا منسيا، وكانوا سببا في رجوع الكثير من أبناء الأمة إلى دينهم: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**» وقد وصل هذا إلى الحدّ الذي لا يستطيع مبصرٌ أن يردّه وينكره؛ فلله الحمد والمنة.

ولقد حصل خير كثير بسبب ذلك، مثل التآلف الذي حصل بين أبناء الأمة الإسلامية، وتعارفهم وكَسْر جدار العزلة والحدود التي فرضها العدو على المسلمين.. إلخ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل الله **جمع الله قلوبهم وألّفَ بينهم، وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم**، وإذا لم ينفروا في سبيل الله **عذَّبهم الله بأَنْ يلبسهم شيعاً، ويذيق بعضهم بأس بعض**) اهـ [مجموع الفتاوى: 15 /44ـ45ـ المكتبة الشاملة]، وقال ـ رحمه الله ـ: (ومتى جاهدت الأمة عدوّها **ألّف الله بين قلوبها**، وإن تركت الجهاد شَغَل بعضَها ببعض) اهـ [جامع المسائل: 5/300 ـ المكتبة الشاملة]، وهي من (رسالته إلى السلطان الملك الناصر في شأن التتار).

ومن إيجابيات الجهاد أيضا أنه بسبب انطلاقه وإعلانه طُرحت عدة مسائل وقضايا للنقاش مثل: مسائل الكفر والإيمان، وكفر الحاكم وحكم الخروج عليه وحكم الموالاة إلخ.. وزخرت المكتبة الإسلامية بمثل هذه المواضيع، وانتشر العلم بسبب ذلك، وحصل وعي كثير في أوساط المسلمين ولله الحمد، وهذا عين ما أشار إليه الشيخ الكتاني في رسالة (تقويم المسيرة) حيث قال: (ولما حدثت أحداث الجزائر الشهيرة وأجهضت الانتخابات واشتعلت نار الجهاد في البلاد ناصرها التيار الإصلاحي وعاداها أشد المعاداة التيار التقليدي بما في ذلك الألباني وأصحابه، وآل الخلاف بين الطائفتين لفتح مواضيع جديدة وهي:

حكم الحاكم المعطل للشريعة الإسلامية.

حكم من والاه.

هل يجوز الخروج عليه؟.

وهل يدخل العمل في مسمى الإيمان، أم أنه خارج عنه وهو شرط كمال فيه فقط؟.

وما هي ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة؟) اهـ.

ولقد كان أهل الجهاد قدر الله سبحانه الذي ميّز به بين الخبيث والطيب، فكانوا ـ من هذا الباب ـ حجة الله على العباد، وإذا تُلي حديث النبي ﷺ: «**لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على الحقّ، لا يضرّهم من خالفهم، حتّى تأتيهم الساعة، وهم على ذلك**» [مسلم]، فإن الأنظار لا تنصرف إلا إليهم!.

أيها القوم: إنه البناء الشامخ الباذخ الذي يحدِّثكم عن نفسه فيُعْرِب، ويحدِّثكم عن فضل أهله فيُطرِب، وقد جاءت محاسنه ضاحكة مستبشرة، وهي تلتمع التماع البرق في طيّات السّحاب، والعيب في من لم تتجلّ له حقائقه وإيجابياته، وخيراته وثمراته (وما أكثرها):

والنّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصارُ صُورَتَهُ ... فالذنْبُ للطّرْفِ لاَ للنّجْمِ فِي الصّغَرِ!

ـ والسؤال الذي أقدِّمه هنا:

هل ينكر هؤلاء ذلك الفضل و(**الحصاد الإيجابي**) الذي سلط عليه الضوء الشيخ أبو مصعب السوري؛ وما أتبعته من بيان كيف أحيا المجاهدون فريضة الجهاد في الأمة حتى صارت الشغل الشاغل لها وحديث الخاص والعام؟!.

نحاكمكم إلى ضمائركم فكونوا منصفين، فإن الله يحث على العدل ويأمر به، ومن تجرّد لله وتخلص من شر نفسه وهواها، عرف الحق ولاحت له الحقائق..

وقُل للعيون الرُّمدِ للشمس أعينٌ ... سواك تراها في مغيبٍ ومطلعِ

وسامح عيونًا أطفأ الله نورَها ... بأهوائها لا تستفيقُ ولا تَعي!

وإلى النقطة التالية:

11/ أدلة العقل والمنطق أن الجهاد هو الحل:

وهي كلمات طيبة، ومحاجة ذكية ونفيسة للشيخ الفاضل وعبقري الجهاد الفَذّ أبي مصعب السوري؛ ولفائدة كلامه أنقله بتمامه..

قال ـ رحمه الله تعالى حيا وميتا ـ تحت فصل **(أدلة العقل والمنطق أن الجهاد هو الحل)** ما يلي ـ فتأمل وأعط الموضع حقه من التدبّر والتأمل ـ:

(نحن نسأل من يريد جدالنا في حقيقة أن الجهاد المسلح اليوم هو الحل الوحيد حقيقة!

إذا لم يكن الحل لمشاكلنا هذه وقد داهمنا العدو، بالمقاومة المسلحة ، فبِمَ يكون؟!..

ـ هل بطقطقة المسابح في أركان الزوايا؟!.

ـ أم بتنقيح الأسانيد وتأليف الأبحاث الشرعية؟!

ـ أم تراه بالسهر على أزرار "الكمبيوتر" في معارك "الإنترنت" ومناقشاتها الحامية الوطيس؟! أم تراه بالمداخلات التلفونية الثائرة مع مقابلات الفضائيات؟!.

ـ أم تراه بالتصفية والتربية وتزكية النفوس ـ بإطلاق ـ؟! **وها هو العدو يصفِّي مقوِّمات وجودنا، ويربي أجيالنا حسبما يريد على مر الساعات والدقائق!.**

ـ أم تراها بالصياح في المظاهرات، وما تجود به الحكومات من إجازة الاحتجاجات الصامتة أو الصاخبة في الشوارع؟!.

ـ أم تراها بالاختراع العظيم الذي توصلت إليه الصحوة، وما جاءنا به الفقه البرلماني؟!.

ـ أم بالاعتراض على الاحتلال، وعلى إزهاق الأنفس، وعلى نهب الثروات، وعلى نهك الأعراض، تحت قبة البرلمان؟!.

ـ أم بـ (الحملة العالمية لمكافحة العدوان) ببيان أجوف، يُرسَل بالفاكس للفضائيات لاستنكار ما يجري من طامات في بلاد المسلمين؟!.

الحقيقة أن حالنا مع هذه الآراء كأهل بيت كانوا ينامون مطمئنين، فداهمهم اللصوص ليلا، فبعضهم ذبح الأب، وبعضهم أثخن الأم بالجراح، وثالث يقصد الأخت لينهك العرض، ورابع منشغل بنبش الخزائن لسرقة المال، وخامس دهس الأطفال في عتمة الليل، وسادس ينهب أثاث البيت ويضرم النار في أنحائه..

والرِّجال من أفراد الأسرة موزّعون في بعض الغرف قد شغل كلاً منهم أمره، وقد هبّ أخوهم الأصغر يناديهم ليهبّوا للدِّفاع عن الدم المسفوك، والعرض المنهوك، والمال المنهوب، والبيت الذي تنهدم أركانه.. ولا مجيب..!!

فأحدهم منهمك في قيام الليل يؤدِّي ورده، ومن شدّة خشوعه لم يسمع ما يجري..!!

والثاني مُنكَبّ على كتب العلم يُفتِّش عن تحقيق سند لم يتأكّد من صحته منذ أيام!! والثالث منهمك في نقاش دعوى مع أحد الجيران يدعوه للصلاح!!

والرابع يتابع حوارا دينيا مفتوحا عبر "الإنترنت" أمام شاشة الكمبيوتر!!

والخامس يطبع بعض الدّعايات الانتخابية لدعم ترشيح بعض العلماء والدعاة لانتخابات البرلمان المقبلة..!!

والشاب الصغير يصيح!! وأخته تلطم الخَدّ وتستغيث!! وبعض الأطفال يرمون اللصوص المسلحين بالحجارة، وقد شُغِل إخوانهم بالدعوة وأنواع العمل الإسلامي!!

هذا عن إخوانهم الملتزمين.. فلهم إخوة آخرون مشغولون بأمور أخرى..!!

فبعضهم يسهر أمام التّلفزيون يتابع برنامج ستار أكاديمي.. على قناة فضائية..

وآخر يرتمي ثملا من السُّكْر في إحدى زوايا البيت..!!

وثالث منغمس في حديث عاطفي على "الموبيل".. يرسل رسائل غرامية عبر قناة روتانا!!

أما أولاد العمومة والجيران من حولهم، فبعضهم في السهرات والسَّمر!! وآخرون يقومون الليل على الفواتير والحسابات التجارية لمبيعات ذلك اليوم!! وبعضهم يحتسي الشاي على ناصية المقهى حتى ساعة متأخِّرة من الليل..!!

ويهبّ الشاب اليافع ليدفع اللصوص المسلَّحين بسكّينه، والأطفال يدفعون بالحجارة، والأخت تحاول جهدها بكفها العزلاء.. فهذا مَبْلغ الجهد أمام اللصوص المدَجَّجين بالسلاح، فالدفع والموت والشهادة أرحم من العيش في مثل هذا البيت الذي تشهد جدرانه على هذا الخزي والعار والصغار.. **هذا نموذج أحوال أمتنا اليوم..**

فهل يظن الطيبون جزاهم الله خيرا على جهودهم في دعوة الفسّاق إلى الهدى، **أنهم قد سقطت عنهم الفريضة المتعيّنة بالدفع؟** ! أم يظنّون أن دعوتهم تلك ستدفع عدوا غاشما، أو تقيم شرعا مُغيَّباً، أو تغيِّر

حكومة خائنة كافرة فاجرة؟؟.

أم هل يظنون بأن الحملات الصليبية إن ضربت بجرانها في بلادنا، وساقت عبيدها من الحكام إلى مزيد من محاربة الدِّين وإضلال أهله، أنهم سيبقى أمامهم مجال للتبليغ والدعوة وعمارة المساجد؟!.

أم هل يظن الدعاة إلى تصحيح عقائد المسلمين.. أنه ستبقى لنا عقائد مع غزو الصليبين لديارنا.. ومع استعلاء عملائهم من العلمانيين والمرتدين؟!.

وأيّ عقائد ستبقى لنا بعد أن صارت أمريكا إلها يُعْبَد طوعا وكرها في بلادنا من قِبل كثير من المسلمين؟!.

أيّ عقائد ستبقى لأطفالنا وشبابنا بعد أن صارت المنظمات الدولية تفرض على بلادنا مناهج التدريس في كافة المراحل، بل وتتدّخل حتى في نصوص خطب الجمعة في مساجدنا؟!.

أيّ عقائد بعد أن صاروا يضعون لنا سياسات التعامل مع نسائنا من خلال إلزام حكوماتنا بمعاهدات (حقوق المرأة) بحسب ثقافاتهم الإلحادية الإباحية؟!.

أيّ عقائد ستبقى مع برامج (إعادة صياغة المجتمعات) الخليجية والعربية والإسلامية؛ كما أعلنها الأمريكان؟!.

أم هل يظن الصالحون المواظبون على تزكية أنفسهم، أن الدشوش والفضائيات ستترك من ذرّيتهم وأبنائهم من يلتفت إلى السلوك والصلاح في ظل هذه الأحوال الفاجرة؟!.

أم هل يعتقد (الديمقراطيون الإسلاميون!) أن في مزيد من التجارب جدوى بعدما حصل في الجزائر، وتركيا، وتونس؟! وبعدما حصل من إنجازات الإسلاميين في برلمانات مصر، والأردن، وباكستان، ودول الخليج، والمغرب وغيرها؟!.

وهل يظنّون أن وجودهم كأقليات إسلامية مسحوقة بين الأحزاب العلمانية المعارضة والحاكمة في البرلمان، سيُغيِّر مجرى التاريخ الذي تكتبه حراب الصليبيين اليوم؟!.

أم يعتقدون بعدما انتشرت مكاتب (CIA) و (FBI) وتدفّق مئات آلاف الجنود والجيوش الصليبية في البلاد، وراحت أمريكا تعيِّن من تشاء من الحكام وتعزل من تشاء، أن بإمكانهم تحقيق الأغلبية وإقامة حكم الإسلام بعدما رأوه من العاصفة التي اجتثت حكومة طالبان وحكومة العراق، وراحت تعلن أنها ستعيد رسم الخريطة السياسية بل والجغرافية في الشرق الأوسط؟!.

وصدق الله العظيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]..

سبحان الله.. حقيقة صار حالنا كما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل!

نحن نعتقد أن تلك الحلول ـ جزى الله أصحابها خيرا كلاًّ بنيّته ـ لن تحلّ مشكلنا اليوم، ونعتقد أن الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ هو الحل، وأنه به ـ بإذن الله ـ يُدْحر العدو..

ونقول بملء أفواهنا نعم إن الأمر كذلك.. نعم.. **مدعومة بالأدلة الشرعية** ، ونعم **كما تقتضي أدلة العقل والمنطق والواقع..**) اهـ بتصرف يسير.

فتأمل إلى فقه الشيخ ووعيه، وتبصّره وسداد رأيه..

وإلى من يقول بأن الشيخ يتحدث عن الغزو الخارجي، أقول:

من يقرأ له، ولأفكاره وآرائه وما كتبه في ميادين الجهاد يعلم يقينا أن خيار الجهاد هو مع الطواغيت المحليين ـ المرتدين ـ أو الدوليين ـ الكفار الأصليين ـ والعدو الداخلي ـ المرتد ـ والخارجي ـ الكافر ـ وجهان لعملة واحدة.

œ ومما سبق ـ وقبل الخاتمة ـ يمكن تلخيص الخلاصة الآتية:

ـ حكام المسلمين اليوم كفرة مرتدون اجتمعت في تكفيرهم عدة مناطات مكفِّرة كل واحد منها مستقل بالتكفير فكيف إذا كانت مجتمعة؟!.

ـ وبالتالي فقد سقطت ولايتهم شرعا، وتعيّن على المسلمين عزلهم باتفاق الفقهاء.

ـ كما أنه تعيّن الجهاد اليوم على المسلمين، **فهو فرض عين على كل مكلَّف**، وهو في حق العلماء والدعاة **آكد لحاجة المجاهدين إليهم**، ولا يجوز التخلف عنه إلا لعذر شرعي مقبول، وتاركه بلا عذر مرتكب لكبيرة معرّض للوعيد.

ـ المصلحة الشرعية تكمن في جهاد هؤلاء القوم المفسدين، الكافرين الظالمين الفاسقين، لأن ضرر بقائهم وعدم الخروج عليه أضعاف ما يحصل بسبب الخروج عليهم، وأن الجهاد في سبيل الله تعالى هو السبيل الأنجع في التخلص منهم.

ـ عند إخفاق الجماعات الجهادية وحصول الأزمات والأخطاء، فإن الواجب تصحيح المسار وتدارك

الأخطاء مع مواصلة الجهاد، والقيام بعملية التصحيح والبناء من خلال المعركة؛ لا النكوص على الأعقاب والتخلي عن فريضة الجهاد، فالفشل يوجب التصحيح **وليس المراجعة**، فتدفع آفة بآفة أعظم منها!..

ـ من أعظم الأسباب التي كانت سببا في تخلف الجماعات الجهادية وكبوتها وتعثّرها، تخلُّف العلماء والدعاة عن اللحاق بساحات الجهاد في سبيل الله كما تقدم شرح هذا في ثنايا الرسالة؛ وهي نقطة مهمة يجب الوقوف عندها وتسليط الضوء عليها، فليتحملوا مسؤولية ذلك!.

ـ طريق الجهاد، طريق محفوف بالمحن والابتلاءات، فليس الجهاد كله نصر وغنائم، ونعتقد أن المحن تحيط به وبأهله ليميز الله الخبيث من الطيب كما قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ [آل عمران: 179]، ثم بعد ذلك تكون العاقبة للمتقين، ﴿**وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ**﴾ [الروم: 06].

ـ حقق المجاهدون ـ بفضل الله ـ خلال جهادهم الطويل عدة مكاسب، والواجب عليهم تنميتها واستثمارها، ومواصلة السير في الطريق الذي سلكوه، والعاقبة للمتقين، ووعد الله لن يتخلف.

ـ والآن مع:

12/ الخاتمة ـ نسأل الله حسنها ـ:

إن المخرج مما فيه الأمة الإسلامية اليوم، وما هي فيه من النكبات والذل المخيم المسيطر عليها، ومن التبعية للحكام المحليِّين والدوليين هو بتحكيم شريعة الإسلام، والالتزام بذروة سنامه، قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحديد/25]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد . كتاب يهدي به وحديد ينصره) اهـ [مجموع الفتاوى: 35/36 ـ المكتبة الشاملة]، وقال ـ رحمه الله تعالى ـ معلِّقا على الآية السابقة: (فمن عدل عن الكتاب قُوِّم بالحديد؛ ولهذا كان قوام الدِّين بالمصحف والسيف، وقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا ـ يعني السيف ـ من عدل عن هذا ـ يعني المصحف ـ)) اهـ [مجموع الفتاوى: 28 / 264 ـ المكتبة الشاملة].

وما أحسن ما قاله الشاعر:

دعا المصطفى دهرًا بمكةَ لم يُجب وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلما دعا و السيفُ صلتٌ بِكفِّهِ له أسلموا واستسلموا وأنابوا

فالجهاد في سبيل الله تعالى هو الذي يحمي الإسلام وأهله، ومتى ما ترك قوم الجهاد سلط الله سبحانه عليهم الذل والهوان كما في صريح حديث ثوبان رضي الله عنه: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**» [سبق تخريجه] وقد تقدم.

يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني ـ حفظه الله تعالى ـ: (فبالجهاد تنقلب الذّلة إلى عزّة، والاحتقار إلى احترام وتقدير، **ولا يمكن وجود أمّة من الأمم فيها النّجاح والعزّة إلاّ وروح الجهاد تسري في جميع أوصالها**) اهـ [بين منهجين 66]..

إن الجهاد في سبيل الله تعالى هو السبيل لاسترداد عزّ الأمة ومجدها وهيبتها، وعودتها لقيادة البشرية من جديد، وهو الدرع الواقي من تسلط الكفرة علينا، فبه يُدفع الفساد عن هذا الدين وأهله، كما بينت ذلك العديد من الأخبار والآثار، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج:40]، بل أدرك ذلك حتى أعداؤنا، حيث يقول أحدهم: (إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، ولهذا الخوف أسباب، منها: أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار، **ومن أعظم أسباب الخوف وأفظعها أن هذا الدين من أركانه الجهاد**) اهـ ولهذا تراهم لا يرضون بأي حركة جهادية تقوم على وجه الأرض، فهم يدركون جيدا ما معنى ذلك!..

وهو كذلك ـ الجهاد ـ سبيل السعادة في الآخرة والفوز برضوان الله وجنات النعيم، وإن المتخلف عنه اليوم ـ وهو جهاد دفع ـ مرتكب لإثم مبين، يقول الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز ـ فك الله وهداه ـ: (إن جهاد الحكام المرتدين الحاكمين بغير شريعة الإسلام هو جهاد متعين على أكثر المسلمين في هذا الزمان..

حتى إن ابن تيمية رحمه الله قال إنه لو كان أبو بكر والصحابة أحياء في زمنه لكان خير أعمالهم قتال المرتدين في زمنه، فقال: (حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين ـ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ـ حاضرين في هذا الزمان لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين)، قلت: وهو

كذلك في زماننا، فلو كانوا رضي الله عنهم حاضرين الآن لكان من أفضل أعمالهم جهاد الحكام المرتدين **حفظا لرأس مال المسلمين.**

إن القعود عن الجهاد المتعين ـ في هذا الزمان ـ على جمهور المسلمين لهو علامة خذلان من الله تعالى لهؤلاء القاعدين، كما قال تعالى: ﴿**وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا**﴾ [التوبة/46، 47]، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنفال/23]..

إن القعود عن الجهاد إثم وكبيرة في حق العامي والجاهل، وهو أشد قبحا في حق العالم وطالب العلم، فكيف وقد جمع كثير من هؤلاء بين القعود وبين كتمان الحق؟ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ [البقرة/174، 175]، والله سبحانه وتعالى يختار لنصرة دينه من يشاء من خلقه، فلما كَفَرَ أهل مكة بالنبي ﷺ، اختار الله تعالى له أهل يثرب ليكونوا أنصاره، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾ [الأنعام/89]، وقال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾ [القصص/68]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إن الله نظر إلى قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيّه يقاتلون على دينه)، وكذلك الحال اليوم من أعرض عن الجهاد ونصرة الله تعالى فسوف يأتي الله تعالى بغيره ممن يستحق هذه الفضيلة، قال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ**﴾ [التوبة/39، 40] وقال تعالى عن المعرضين عن الإنفاق في سبيل الله: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد/38].

ولقد اختص الله تعالى من يجاهد المرتدين بصفات لم يختص بها غيرهم، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة/54]، وكان أبو

بكر الصديق والصحابة رضي الله عنهم هم أول من استحق هذه الصفات بقتالهم المرتدين) اهـ (العمدة في إعداد العدة) بتصرف يسير.

فهذا هو الواجب، فهل مجيب؟ وهذا هو الطريق فهل من رجال؟ (**وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**) (الحج، من الآية:40).

ومن أعرض عن نصرة دين الله تعالى وترك الجهاد المتعيّن اليوم على جميع المسلمين من غير أصحاب الأعذار الشرعية، فليعلم بأن هذا الدين منصور بغيره ولم يضرّ ويوبق إلا نفسه، قال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: 39]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد:]38، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت: 06]..

œ وأذيّل هذه الخاتمة بما يلي:

وقفة مع حديث (الآن جاء دور القتال):

روى الإمام النّسائي وغيره بسند صحيح عن سلمة بن نفيل الكِنْدي رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله، أذال النّاس الخيل، ووضعوا السّلاح وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه، وقال: «**كذبوا، الآن جاء دور القتال، ولا يزال من أمّتي أمّة يقاتلون على الحقّ، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتّى تقوم السّاعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وإنّه يوحى إليّ أني مقبوض غير ملبث، وأنتم تتبعوني أفنادا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقر دار المؤمنين بالشّام**».

يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني ـ حفظه الله تعالى ـ في شرحه بعد أن قال (**الرّجاء حفظ هذا الحديث لفائدته**):

(هذا الحديث جليل القدر عظيم الفائدة، **فهو يدعو المسلم للخروج من هوى النّفس، وتضارب الآراء، وخاصّة في هذا الزّمان الذي خاض فيه النّاس بآرائهم**، ورموا أفكارهم أمام أتباعهم ليقتاتوا منها، ظانّين أنّ ما يقولونه صواباً وحقّا، وظنّ من لا خبرة له بحديث رسول الله ﷺ ولم يطّلع عليها حقّ الإطّلاع

والمعرفة، أن المرء في هذا الزّمان بحاجة إلى جهد عقليّ شاقّ لاكتشاف الحقّ من بين المطروح على السّاحة الإسلامية من أفكار وأحزاب وتجمّعات، فهو متردّد ومتحيّر، وخاصّة أنّ العارضين أفكارهم يملكون سِحْر البيان، ويتفنّنون في تزيين أفكارهم ومناهجهم، ولكن هل فكّر هذا المتحيّر والمتردّد أن يعود إلى السنّة النبويّة الصّحيحة فيأخذ منها زاده؟ أو ليعرف منها الحقّ والهدى؟ **هذا هو الواجب الشّرعيّ)** اهـ [بين منهجين 26].

ويقول في بيان مجلجل عند شرح الحديث السابق: (هذا الحديث المتقدّم يكشف لك صفتين من صفات الطّائفة المنصورة، ويجلّيهما لك أجلى بيان وأوضحه.

الصّفة الأولى: لو أمعنت النّظر في الحديث المتقدّم ـ حديث سلمة رضي الله عنه ـ لرأيت سبب ورود الحديث هو أنّ جماعة أعلنوا توقّف الجهاد، فأذالوا الخيل (أي تركوها من غير عناية ولا تدريب)، ووضعوا السّلاح وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فسبب ورود الحديث هو إعلان توقّف القتال، وجاء الرّد حاسماً وقاطعاً **لا يحتمل تأويلاً**، فقد ردّ عليهم رسول الله ﷺ بقوله: «**كذبوا، الآن جاء دور القتال**»، إذ القتال لم يتوقّف، وليس هناك سبب موجب لتوقّفه، أو إعلان انتهائه، وكيف ينتهي، وفي الأرض أقوام زاغت قلوبهم؟.

ثمّ مدح المصطفى ﷺ أقواماً أوفياء للقتال، ولم يذيلوا الخيل، ولم يضعوا السّلاح، بل هم مقاتلون دوماً ومحاربون في كلّ حين: «**ولا يزال من أمّتي أمّة يقاتلون على الحقّ**».

هكذا وصف لنا رسول الله ﷺ الطّائفة المنصورة، وهكذا بيّن لأمّته، وإذا جاء نهر الله ذهب نهر معقل، فإذا جاء نصّ رسول الله ﷺ فماذا بقي لغيره؟ وماذا عساه (أي غيره) أن يقول؟ إنّه لن يقول إلاّ باطلاً، كائناً من كان هذا الغير، سواءً كان هذا الغير ممّن ظنّ أنّ تجارة الورق بحديث رسول الله ﷺ تدخله في الطّائفة المنصورة، أو كان هذا الغير يرى أن جعجعات المنبر تشفع له فتجعله من جماعة الحقّ والهدى.

نعم إنّ الطائفة المنصورة **سبب ورود حديثها هو إعلان توقّف القتال**، أو قول بعضهم في كلّ زمان وفي كلّ آن (إلاّ ما يأتي من زمن عيسى عليه السّلام مع يأجوج ومأجوج) أنّ هذا الزّمن لا قتال فيه ولا جهاد، أو كقول بعضهم هذا الزّمن: كفّوا أيديكم وأقيموا الصّلاة، أو كقول بعضهم: كونوا أحلاس بيوتكم، وكلّها كلمات حقّ تنزل على معان باطلة، ومعان فاسدة.

إنّ أمر القتال هو أمر إلهيّ ليس لأحد أن يبطله، وإن رام أحد أن يزوّره أو يماحكه فيكفيه ابتداءً أنّه لم

يتشرّف بموقع له في الطّائفة المنصورة، بل هو مخذول ومن طائفة الخذلان، وسيبقى شاعراً أبد الدّهر أنّه مخذول ومهزوم، وأنّ الباطل بغطرسته أقوى من الحقّ والإسلام الذي يملكه.

إنّ طائفة الحقّ والنّصر هي طائفة تستشعر العزّة مع ضعفها، وتمتلك غنى القلب مع فقرها، قد تكون رثّة الثّياب، قليلة المتاع، فقيرة الحال، لكنّها وهي ترتفق أسلحتها، وتناجي خيولها هي منصورة بفضل الله وقوّته، وهذه الطّائفة **(لا تزال)** ولن تزول، ولا تتوقف، ولم تتوقّف، إذ أنّ المرء لا يتوقّف عن القتال وعن مناجاة الحرب وسجالها إلاّ من سلبت منه رجولته، بعد أن سلبت منه معان العزّة بهذا الدين العظيم، والطّائفة المنصورة ليست كذلك بإذن الله تعالى.

هذه هي الصّفة الأولى للطّائفة المنصورة، رضي من رضي، وسخط من سخط، ومن سخط فليسخط على حديث رسول الله ﷺ، والحقّ لن يضيره أن يعرض عنه أكثر النّاس) اهـ [بين منهجين 26].

فعلى المجاهد أن لا يخجل من الحقّ الذي يملكه أمام ضغط الشبهات وتشويه الحقائق، ﴿**قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي**﴾ [الأنعام/57]، وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ [الحجر: 94]، وعليك أخي المجاهد ـ ثبّتك الله ـ أن ترضي الحق وإن غضب الخلق، فلستَ امرأة تطلب زوجا فتتجمّل وتتحسّن لكلّ طارق:

وإذا رضي الإله فلا (تبالي) أقام الحيّ أو غضب الأميرُ!

إن على المجاهد أن يقوم في دعوته وجهاده وصدعه بالتوحيد والبراءة من الشرك والتنديد وجميع ما يلحق بذلك (**<u>مقام المؤذّن</u>**، ومن السنّة في حقّه ـ أي المؤذّن ـ أن يصرخ في النّاس الحقّ (الدّعوة التّامّة كما سمّاها رسول الله ﷺ) وأثناء هذا النّداء عليه أن لا ينسى أن يضع إصبعيه في أذنيه، ولعلّ وضعه هذا ـ وهو أن يصرخ وهو واضع إصبعيه في أذنيه ـ يشير إلى ما ينبغي أن يكون عليه الدّاعي إلى الله، وهو ألاّ ينشغل بحديث النّاس معه، أو بحديث النّاس عليه، فلو أنّ رجلاً صرخ على المؤذّن وهو يؤذّن لصلاة الفجر قائلاً له: لقد أقلقت نومنا، أو أفسدت علينا أحلامنا، فإنّ المؤذّن لن يسمعه، وكيف يسمعه وهو واضع إصبعيه (السبّابتين) في أذنيه، ولو أنّ رجلا صرخ فيه، وهو يؤذّن لصلاة الظّهر: لو أنّك أخّرت أذانك قليلاً حتى أنهي صفقتي وتجارتي فلن يسمعه، وكيف يسمعه وهو واضع سبّابتيه في أذنيه، فهذا هو أمر الدّاعي إلى الله تعالى، يصرخ في النّاس الحقّ، ويدعو النّاس إلى الفلاح، ولا يأبه أبداً باعتذار الحالمين أو الواهمين، بل هو

قائم لله بحجّة حتى يلقى الله) ما بين قوسين من [بين منهجين 26/للشيخ أبي قتادة الفلسطيني].

هذا؛ وسنبقى ـ بإذن الله تعالى ـ أوفياء لهذه الطائفة المجاهدة التي على توجيهاتها نبتنا، وعلى حبها ثبتنا، وكلما اشتدت الحرب والمحنة والغربة ازددنا ـ بتوفيق الله ـ شدة وثباتا وتمسكا بالحق، نهتف:

ولا (نلين) لغير الحق (نسألهُ) حتى يلين لضرس الماضغ الحجَرُ.

فجهادنا ـ بفضل الله ومنّته ـ دَلَّ عليه كل دليل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل..

ولمن جعل الجهاد على هامش الحياة، يقول الشيخ عبد الله عزام ـ رحمه الله تعالى ـ: (لقد خرجت بيقين جازم، وعلم حاسم أن الجهاد بالنفس ضرورة حياتية للمسلم، حتى يتحرر من الخوف، ويمزّق حجاب الوهن والرعب الذي يغتصب به الطواغيت حقوق الأمم، ويبتزّون به أموالها، وينتهكون حرماتها، ويدوسون مقدّساتها ومثلها) اهـ [قطوف من أعماق التجربة التربوية والفكرية للشيخ عبد الله عزام رحمه الله تعالى].

وأخيرا..

جرى القلم بما تقدم، والله يعصمنا من الزلل، ويوفّقنا في القول والعمل؛ وما كان من صواب فمن الله، وما سواه فمن نفسي والشيطان، فليسدّ الناصح الناقد الخلل، فقلّما يخلص مصنّف من الهفوات، أو ينجو مؤلّف من العثرات:

فإن وجدت عيباً فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

وأسأل الله أن يختم لي ولمن قمت بالرد عليه ولجميع المسلمين بالباقيات الصالحات، فالنصح أردنا والحق قصدنا، وأستغفر الله من كل ذنب وأتوب إليه، ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: 88].

والله أعلى وأعلم، **وصلى الله على نبيّنا محمد، وآله وصحبه وسلم.**

وكتبها دفاعا عن الطائفة المجاهدة: أبو الأشبال المغربي ـ عفا الله عنه ـ.

1438هجرية، الموافق لـ 2017«م».